

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة -
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية



فن الرسالة
محمد أبي عبد الله بن أبي الخصال
دراسة فنية أسلوبية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية
تخصص: أدب قديم

إشراف الأستاذ الدكتور:

امحمد بن لخضر فورار

من إعداد الطالب

- محمد لخضر بن ناجي

السنة الجامعية

1436 / 1435 هـ

2015 / 2014 م

شكر وتقدير

الحمد لله الذي ساعدني على انجاز هذه المذكرة وأنار لي دربي ووفقتني في مهمتي العلمية.

أتقدم بخالص الشكر والتقدير والاحترام إلى المشرف الأستاذ الدكتور " امحمد بن لخضر فورار " الذي لم يخل علي بوقته وتوجيهاته القيمة طيلة إنجاز هذه المذكرة.

كما أوجه الشكر الجزيل إلى جميع أعضاء اللجنة الذين تشرفت بقبولهم مناقشة هذا العمل العلمي.

ولا يفوتني أن أوجه شكري إلى كل من المسؤولين العاملين بإدارة قسم الآداب واللغة العربية بجامعة محمد خيضر ببسكرة.

إلى كل هؤلاء أقول: "بارك الله فيكم"

مقدمة

تعترف كتب التاريخ والدرس الفكري بأن عصر المرابطين من أزهى العصور الأندلسية شعرا ونثرا، وهو العصر الذي كثرت فيه المكاتبات والرسائل بين الوزراء وغيرهم. فانتشرت بذلك جميع أنواع الرسائل بما فيها الديوانية والإخوانية، وكثر كتابها لكن الأمر الذي يلفت الانتباه أن هذا العصر لم يطرق بابه من طرف الكثير من الباحثين إلا القليل منهم، خاصة ما تعلق فيه بموضوع الرسائل، الأمر الذي دعاني إلى تقليب الصفحات والبحث في مجموع الرسائل وكتابها، فصادفتني شخصية تعد الأبرز من بين الشخصيات الأندلسية، حتى أنها لقبتم برئيس كتاب الأندلس وهذه الشخصية هي أبو عبد الله بن أبي الخصال، ومن ثمة كان موضوع بحثي بعنوان "فن الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال دراسة فنية أسلوبية" ومن هنا كان الإشكال كالاتي: من هو أبو عبد الله بن أبي الخصال؟ وما هي أنواع الرسائل التي كتب فيها؟ وكيف كانت نظرة أدباء الأندلس إليه؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات جاء بحثي هذا ضمن خطة تبدأ بمدخل بعد مقدمة ثم تبعه فصلان تلتتهما خاتمة، أما المدخل فتناول حياة الكاتب ونسبه وموطنه وثقافته، أما الفصل الأول فأدرج تحت عنوان: فن الرسالة، فكان العنصر الأول فيه الرسالة بين اللغة والاصطلاح، إضافة إلى لمحة تاريخية عن فن الرسالة الذي حمله عنوان العنصر الثاني، أما فيما يخص العنصر الثالث فقد تطرقت فيه إلى أنواع الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال.

ولقد حمل الفصل الثاني عنوان الدراسة الفنية الأسلوبية لمجموعة من رسائل أبي عبد الله بن أبي الخصال وذلك من أجل الكشف عن جماليات النص النثري عنده، ثم تلت هذين الفصلين خاتمة هي مجموعة من النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.

أما عن أهم الكتب التي اعتمدت عليها في بحثي هذا هي كتابا الرسالة الأدبية في فن النثر الأندلسي وكتاب أبي عبد الله بن أبي الخصال للكاتب فوزي سعد عيسى.

إضافة إلى كتاب الأدب المغربي بين التأسيس والتأصيل والتجديد للكاتب الربيعي بن

سلامة.

وقد كان المنهجان الفني والأسلوبي هما الأنسب لهذه الدراسة من أجل إبراز الخصائص الفنية التي تسم رسائل عبد الله بن أبي الخصال.

ومن بين أهم الصعوبات التي واجهتني في موضوعي هذا قلة المصادر والمراجع التي تناولت سيرة وشخصية هذا الأديب، إضافة إلى أن المصادر التي تكلمت عنه لم تذكر له سوى بعض الرسائل القديمة، لكن بفضل الله عز وجل ثم حرص أستاذنا امحمد بن لخضر فورار وتوجيهاته القيمة طيلة مسيرتي في هذا البحث استطعت أن أتجاوز هذه الصعوبات لأخرج بهذا البحث.

وفي الختام أقول إن هذا البحث لا يرقى إلى درجة الكمال، وعليه فإن أصبت فذلك توفيق من الله عز وجل، وإن أخطأ فمناقص الذي جبلت عليه النفس البشرية.

مدخل

أبو عبد الله بن أبي الخصال

أ - تعريفه

ب - شيوخه

أبو عبد الله ابن أبي الخصال: (ت 540 هـ)

أ - تعريفه: هو أبو عبد الله محمد بن مسعود بن خلصة بن فرج بن مجاهد الغافقي

المشهور بابن أبي الخصال، وهو رئيس كتاب الأندلس¹ وينتمي أبو عبد الله بن أبي الخصال إلى قبيلة غافق.² ولد سنة 465 هـ في فرغليط من جهة شاقورة ونبغ في الكتابة، فكتب لعلي بن يوسف بن تاشفين وتنتقل في المغرب والأندلس حتى قتل سنة 540 هـ في الفتنة التي حدثت في قرطبة بين ابن حمديس وابن غانية.³

ب - شيوخه: بعد انتقاله إلى قرطبة والتي أقام بها زمنا حيث تلقى تعليمه على يد شيوخها وأبرز أعلامها أمثال: أبي الحسين بن السراج، وأبي محمد ابن عتاب، وأبي بكر غالب ابن عطية، وأبي تميم العز ابن بقنة، وابن مالك وممن أخذ عنهم كذلك أبو بكر بن سابق الصقلي، وأبو الحسين ابن مالك اليعمري القاضي، وأبو الحسن ابن بادش. وعندما شد أبو عبد الله رحلته إلى المرية، تلقى تعليمه على يد أبي علي الصفدي فقرأ عليه صحيح مسلم وجامع الترمذي ومصنف أبي داود وقد جمعت صداقة مع الأديب محمد بن أغلب بن أبي الدوس وهو من أهل مرسية.⁴

ويعد أبو عبد الله بن أبي الخصال أحد أعيان كتاب الزمان، وحامل جملة الإحسان فقد وصفه صاحب كتاب الذخيرة بأنه بحر من المعرفة. يقول عنه ابن بسام "تجم يفقه من بلد شاقورة فأسكت القائلين" واستوفى غاية المحسنين وهو اليوم بحيث لا تشير الأصابع إلا إليه ولا تنتوى الأضالع إلا عليه، له بيان لا يتعاطاه ناظم ولا ناثر، وإحسان لا يبلغ مداه أول ولا آخر، وقد اثبت من كلامه ما نقله من خطه الذي خاطبني به، ما يدل على نبلة وأدبه".⁵

ثقافته: لقد جمع ابن أبي الخصال إلى جانب علمه وثقافته صفات أخرى فقد كان جزيل القول، عذب اللفظ، حلو الكلام، عذب الفكاهة، فصيح اللسان، بارع الخط، وكان في ذلك كله نسيجا واحدا وكان مع ذلك حسن الخلق كريم الفعل جميل التواضع، حسن المعاشرة لأهل العلم حافظا لعهدهم.

¹ ابن نصر الفتح بن الخاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان)، قلائد العقيان، [د ط]، [د ت] ص 174.

² فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، [د ط]، [د ت]، ص 27-28.

³ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 30.

⁴ فوزي عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 112.

⁵ أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، تح إحسان عباس، بيروت، لبنان، [د ط]، 1997، ج 3، ص 786.

كما كان واسع الصدر حسن المجالسة والمحادثة¹، وهذا يعني أنأبا عبد الله بن أبي الخصال قد جمع الصفات الأدبية إلى جانب الصفات الخلقية فهو باعتباره كاتب وأديب فذ، إلا أنه كان رجلاً خلوقاً كثير التواضع وهذا ما رواه عنه العديد من المؤلفين والرواة. وقد روى أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم عن الصفات والخصال التي كانت في أبي عبد الله بن أبي الخصال.

كما ذكر ابن دحية أنه حدثه عنه خمسون شيخاً منهم إمام النحويين أبو جعفر أحمد ابن مضاعف وهذا ما يعني أنأبا عبد الله بن أبي الخصال كان على نصيب كبير من العلم وهذا ما أكدته جميع الرواة والمحدثون.

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 31-32.

الفصل الأول: فن الرسالة

أولاً: الرسالة بين اللغة والاصطلاح

ثانياً: لمحة تاريخية عن فن الرسالة

ثالثاً: أنواع الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال

أولاً: الرسالة بين اللغة والاصطلاح

الرسالة إحدى فنون النثر الأدبي، وهي مرتبطة بتحضر المجتمع ووجوده، لذا كان لها أهمية بالغة عبر مر العصور.

أ- لغة: جاء في لسان العرب: "رسل الرسل القطيع من كل شيء، والجمع إرسال والرسول:

الإبل، هكذا حكاه أبو عبيد من غير أن يصفها بشيء قال الأعشى: من [البسيط]:

يسقى رياضاً لها قد أصبحت غرضاً زوراً تجانف عنها القود والرسول

والرسول قطيع بعد قطيع، والجمع إرسال قال الراجز: [من البسيط]

يَا ذَانِدِيهَا حَوْصًا بِأَرْسَالٍ وَلَا تَنْوَدَاهَا ذِيَادَ الضَّلَالِ

ورسل الحوض الأدنى: ما بين عشر إلى خمس وعشرين، يذكر ويؤنث والرسول قطيع من

الإبل قدر عشر يرسل بعد قطيع.

وقد قال رسل رسلاً ورسالة، وشعر رَسَل: مسترسل، واسترسل الشعر أي صار سبطاً. وناقاة

مرسال: رسالة القوائم كثيرة الشعر في ساقها طويلتها والإرسال: التوجيه وقد أرسل إليه والاسم

الرسالة والرسالة والرسول والرسول، وأنشد ثعلب: [من الطويل]

لَقَدْ كَذَّبَ الْوَأَشُونَ مَا بُحْتُ عَنْهُمْ بَلِيْلِي وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسَلِ

والرسول بمعنى الرسالة يذكر ويؤنث فمن أنت جمعها أرسلًا. قال الشاعر:

قَدْ أَتَيْتَهَا أَرْسَلِي

ويقال هي رسولك، وتراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض. والرسول الرسالة والمرسل، وأنشد

الجوهري في الرسول الرسالة للأسعر الجعفي: [من الوافر]

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا عَمْرٍو رَسُولًا بِأَنِّي عَنْ فَنَاحَتِكُمْ غَنِي

وسمي الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي ذو رسالة، وأرسلت فلانا¹ في رسالة فهو مرسل

ورسول، وجاء في المعجم الوسيط "رسل البعير رسلاً، ورسالة: كان رسلاً والشعر رسلاً أي

طويلاً مسترسلاً، وأرسل الشيء: أطلقه وأهمله ويقال أرسل الكلام: أطلقه من غير قيد، والرسول

بعثته برسالة. وجاء في التنزيل العزيز قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ

تَوَّزَّهُمْ أَزَا﴾ (مريم: الآية 83)

¹ ابن منظور (جلال الدين بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج3، مادة رسل.

وتراسل القوم، أرسل بعضهم إلى بعض رسولا أو رسالة، والرسالة ما يرسل، ورسالة الرسول ما أمر بتبليغه عن الله.¹

ب - اصطلاحا:

لقد تعرض الدارسون قديما لمفهوم الرسالة، حيث أعطوا لها مفهوما خاصا، فاختلفت تعريفاتهم حول هذا الفن. ومن ذلك نجد تعريف ابن خلدون الذي يقول: "تعنى المخاطبات لمن بعد عن السلطان وتنفيذ الأوامر فيمن حجب عنه".²

إن ابن خلدون في هذا التعريف قد ربط مفهوم الرسالة بالرسائل السياسية التي توجه إلى الملوك والخلفاء، غير أن القلقشندي أعطى لها مفهوما آخر أكثر وضوحا وتفصيلا إذ نجده يقول: "إن المراد بكتابة الإنشاء، كلما رجع إلى صناعة الكتابة وإلى تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات، والايامن وما في معنى ذلك"³، إن ما يلاحظ على تعريف القلقشندي لمفهوم الرسالة أنه قد بين أصنافها وأنواعها كالرسالة الفنية والرسالة الأدبية ورسائل التعزية وغيرها والرسالة باعتبارها أحد فنون النثر الأدبي ارتبطت بوجود المجتمع وحاضره على مر العصور.

فالرسالة قطعة من النثر الفني تطول وتقصر لمشيئة الكاتب وغرضه، وأسلوبه وقد يتخللها الشعر إذ أراى لذلك سببا. وقد تكون كتاباتها بعبارة بليغة، وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقات، ومعان طريفة⁴ وقد تتميز الرسالة عن جميع الفنون الأدبية الأخرى، وأهم ما يميزها، العبارة البليغة والأسلوب الرشيق والألفاظ المنتقات الجزلة والموجزة، ولطف الخيال والتحرر من قيود الشعر والدقة في التعبير إلى غيرها من المميزات.⁵

والرسالة على اختلاف أنواعها وأقسامها "هي كل ما يرسل من شخص إلآخر مشافهة أو كتابة في موضوع من الموضوعات العامة أو الخاصة وفقا لهوية المرسل إليه وطبيعة العلاقة بينهما".⁶

¹ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، ط2، 1972، ج1، ص 344.

² ابن خلدون (عبد الرحمان محمد الحضرمي)، المقدمة، تحقيق عبد الواحد علي واقف، دار البيان العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1958، ص22.

³ عبد الحليم حسين الهروط، الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص42.

⁴ فهد خليل زايد، الكتابة فنونها وأفنانها، دار يافا العلمية، الأردن، عمان، ط1، 2009، ص57.

⁵ المرجع نفسه، ص57.

⁶ مصطفى محمد الفار، داود عطاشة الشوابكة، دراسات أدبية ونقدية في الفنون النثرية، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص43.

ثانيا:لمحة تاريخية عن فن الرسالة في المشرق:

تمثل الرسالة أحد فنون النثر الفني وقد ارتبطت بالعصر الجاهلي غير أنها لم تكن واضحة للعيان، لأنها كانت مربوطة بالكتابة وكانت الكتابة في المشرق قليلة في هذا العصر. وتعد نصوص الرسائل في العصر الجاهلي وثيقة الصلة بالنثر الفني العربي وهي من أقدم المدونات ومن أكثرها أهمية واستحقاقا للتدوين، وقد كانت الكتابة في العصر الجاهلي على قدر ضئيل من الانتشار فليس هنالك تعليم منظم إضافة إلى أن من كان يكتب في العصر الجاهلي لم يكن يحسن الكتابة بل كان يبذل وقتا طويلا في عديد من الأسطر ينكب عليها فلا يفرغ منها إلا وقد أفرغ الجهد معها.¹

أما الرسالة في العصر الجاهلي لم تكن واضحة المعاني لأن الكتابة كانت غير موجودة إلا نادرا، وإن وجدت بعض الرسائل النثرية في العصر الجاهلي فهي لا تخلو من بعض الهفوات، وقد كتبت على أدوات الكتابة الموجودة في ذلك العصر، ومن أبرزها نذكر: رسالة قضي بن كلاب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة العاذري في الشام، حيث تضمنت هذه الرسالة طلبا من قضي إلى أخيه كي ينصره في زعامته لمكة، وكذلك نذكر رسالة من قيصر الروم إلى امرئ القيس بعد أن أنجده بجيش لإعادة ملك أبيه المقتول وقد حملت هذه الرسالة معها حلة مسمومة.

أما نصها فهو "إني قد بعثت إليك بحلتي التي كنت ألبسها يوم الزينة ليُعرف فضل منزلتك عندي فإذا وصلت إليك فالبسها على اليمن والبركة".² ومن ذلك أيضا صحيفة المتلمس التي كتبها عمرو بن هند إلى عامله على البحرين ورسالة حنظلة بن أبي سفيان إلى أبيه في اليمن.

إن الرسائل المدونة في العصر الجاهلي قليلة جدا، يغلب عليها الإيجاز والاقتضاب والتركيز، مع سهولة اللغة ووضوح العبارة، ولقد اتخذت الرسالة منحى آخر في العصر الإسلامي حيث كانت موازية للرسالة المحمدية ودافعة لها، وقد احتوت في ألفاظها على أسلوب، متأثرة فيه بأسلوب القرآن ومن أهم الرسائل التي دونتها لنا كتب الأدب تلك الرسائل

¹ خالد الحلبيون، فن الرسائل النثرية في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة، دمشق، سوريا، [د ط]، [د ت]، ص 21-22.

² خالد الحلبيون، المرجع نفسه، ص 23.

التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل نشر الدعوة الإسلامية، وكانت تسمى في تلك الفترة باسم الرسائل الديوانية لأنها صدرت عن إمرة الحاكم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. ودارت مجمل الرسائل الموجهة في تلك الفترة إلى الحكماء والملوك حول عرض الدعوة الإسلامية والتوحيد الخالص لله.

فنذكر مثلا الرسالة التي وجهها النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يقول فيها: أنيأدعوك بدعاية الإسلام.¹

كما نذكر على سبيل ذلك رسالة وجهها النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي قوله "سلام على من اتبع الهدى وأمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وإن محمد عبده ورسوله. وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله".²

لقد تضمنت مجمل الرسائل في العصر الإسلامي الدعوة للإسلام، والإيمان بالله عز وجل ونشر الدين والدعوة إلى مكارم الأخلاق، كما أن هناك بعض الرسائل كتبت بهدف التعليم ومن ذلك رسالة كتبها أهل المدينة المنورة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونه فيها إلان يبعث إليهم قوما يفقهونهم في الدين. جاء فيها: "ابعث إلينا رجلا يفقهنا في الدين، وبقرتنا القرآن".³

إن فن الرسالة في العصر الإسلامي كان صورة حية لمختلف مناحي الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والعقائدية بكل ما فيها، فقد اتسمت الرسائل في العهد الإسلامي بأسلوب الترغيب والترهيب والمزاوجة بينهما، من أجل نشر معالم الدين الإسلامي والدعوة إليه. كما تميزت بتأثرها الواضح بأسلوب القرآن، إضافة إلى إيجازها والتأنق الكبير في البلاغة والأسلوب مع الفصاحة والابتعاد عن الغرابة، حيث كانت مجمل الرسائل ذات طابع ديني.

أما في العصر الأموي فقد بلغت الرسالة فيه درجة كبيرة وأصبح لها طابع خاص حيث أصبح يجيها العديد من الكتاب وأنشأت لها الدواوين ومن أهم الدواوين نذكر: ديوان الرسائل الذي أقامه معاوية عام الجماعة، وديوان الخاتم حيث كان هذا الديوان يستعمل لختم الرسائل، وديوان البريد الذي وضع أسسه معاوية بن أبي سفيان وقد انتشرت الرسائل في هذا العصر بكثرة ومن أجل هذا أظهر عبد الحميد الكاتب دور الكتاب ومراتبهم وقد ظهر العديد من الكتاب

¹ خالد الحلبوني، فن الرسائل النثرية في العصر العباسي، ص 23.

² حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 2002، ص 23-24.

³ خالد الحلبوني، المرجع السابق، ص 23-24.

أمثال زياد بن أبيه، وعبد الحميد الكاتب ومعاوية بن أبي سفيان، وكانت الرسائل منقسمة إلى عدة أقسام منها الرسائل الديوانية، وشملت كل ما يتعلق بشؤون الدولة وحياة المجتمع.

الرسالة في عصر بني العباس:

يعد النثر العباسي نثرا امتزجت فيه الثقافات الأجنبية المختلفة من يونانية وفارسية وهندية وغيرها، كما أنه قد اشتهر كثيرون بهذا العمل (النثر)، وفي مقدمتهم ابن المقفع صاحب كتاب كلیلة ودمنة، أما صورة الرسالة في هذا العصر فقد تنوعت ما بين رسائل ديوانية، ورسائل إخوانية، غير أن الأولى كانت كثيرة ومتنوعة لتنوع الدواوين في العصر العباسي، فكان ديوان الخراج، وديوان النفقات، وديوان الضياع وديوان الرسائل وغيرها.

" وكان الكاتب في دواوين الدولة إذ أظهر نبوغا ارتقى سريعا ومازال يرتقى حتى يصبح رئيسا لمجموعة من الدواوين، كإبراهيم ابن المدبر ومحمد ابن عبد الله بن أبي طاهر، وكانت الدواوين كثيرة ومن ذلك دواوين سامراء وهي أشبه بمدرسة فنية كبيرة"¹، وقد حفظ لنا العصر العباسي طائفة من الكتاب فيعهد الخلفاء، من أجل إيضاح طريقة كتابتهم وماحدث من تطور في الكتابة الديوانية وأساليبها في هذا العصر، " وإن أول كاتب يلقانا في هذا العصر هو إبراهيم بن العباس الصولي، الذي حرر أكثر ما صدر عن المتوكل من منشورات وكتب ورسائل في الفتوح، ومن الكتاب نذكر عبد الهف بن يحيى بن خاقان، والذي احتفظ له الطبري برسالة كتبها إلى محمد بن عبد الله بن طاهر حاكم بغداد يأمره بضرب رجل ألف سوط كما صح من شهادات شهود كثيرين عليه. والرسالة تخلو من السجع ومحاولة التتميق"² أما الرسالة الإخوانية والأدبية فقد ازدهرت حين ذلك إذ اتخذها الأدباء لتصوير عواطفهم ومشاعرهم في الخوف والرغبة " والرغبة والمديح، والهجاء والتنهاني والعتاب والاعتذار والاستعطاف والتعزية وبذلك نافست الشعر في مجالته"³.

ومن أشهر كتاب الرسائل الإخوانية، الحسن بن وهب ومن ذلك رسالة كتبها إلى المتوكل في عيد بيروت يهنئه بالعيد، وكلها دعاء وابتهاال"⁴ وقد كانت الرسالة في هذا العصر سجعا خالصا وكان الكتاب يصطنعونه منذ أوائل هذا العصر في بعض رسائلهم " فإن لأبي العيناء

¹ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي. العصر في العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1975، ص550، 551.

² شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص 562.

³ شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص 562.

⁴ شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص 624.

رسائل في الاستمناح، ولابن المعتز رسائل أخرباخوانية كثيرة في التهاني والتعازي والاعتذار والشوق والفرق وفي السؤال عن بعض المرضى والدعاء لهم بالشفاء".¹

كما نذكر عدة رسائل فكرية وأدبية كتبها كتاب المشرق على مر العصور ومن ذلك رسالة كتبها ابن قتيبة إلى الكتاب كما هو واضح في مقدمة كتابه أدب الكاتب " وبهذا يرسم منهجا واضحا لفن الرسالة بحيث احتوى في طياته على الصنعة، وإزاء ما كتبه ابن قتيبة من رسائل في تهذيب الأخلاق ومن ذلك رسالة كبرى كتبها للكتاب، كما لا ننسى رسالة الغفران لأبي العلاء المعري التي وجهها لابن القارح وفيها اعتذار وشكوى وتودد، وهي تؤكد شكل الرسائل الشخصية مع فيض زاخر من المحفوظات اللغوية والأخبار والأشعار كما لا ننسى رسائل أبي المعتز في وصف سامراء ومالحق بها من خراب"².

ثالثا: الرسالة في الأندلس

إن الدارس لتاريخ الأدب في الأندلس يرى أنه مقسم إلى عهود ومراحل احتوت في طياتها أدبا متكاملا لفت انتباه الدارسين له، ومع ذلك فإنه يصعب لدارس الحركة الأدبية في الأندلس وتطورها أن يميز مراحلها على الوقائع الأدبية وحدها لأن النثر الأدبي متيسر في البيئات التي توزعت فيها آداب ومدارس الفكر.

إن تلك البيئات تختلف باختلاف عنصرها الزمني والتاريخي إضافة إلى العنصر الأدبي لكن ما يجمع هذه المراحل هو أنها جسدت أدبا للأندلس وعكست سماته ويُقسم الدارسون المراحل الأندلسية كما يلي:

1 المرحلة الأولى: عهد الولاة: ويمتد من فتح الأندلس إلى تغلب عبد الرحمان الداخل (93-138).

2 المرحلة الثانية: عهد الإمارة: من قيامها إلى إعلان الخلافة (138-316).

3 المرحلة الثالثة: عهد الخلافة: في زمن قوتها (إلى سنة 366) وفي زمن ضعفها وقوة الحجاب إلى تاريخ وقوع الفتنة أواخر القرن الرابع (عام 398).

¹ خالد الحلبي، فن الرسائل النثرية في العصر العباسي، ص (111، 112، 113، 114).
² خالد الحلبي، المرجع نفسه، ص 115.

1 : الرسالة في عهد الولاة:

يعد النثر الأندلسي في عهد الولاة نثراً جافاً، بحيث يصعب كثيراً أن يحدد واضعه منهجه الأدبي وقالبه الفني، ذلك أن الكتب التي أرخ فيها أصحابها للأدب الأندلسي منذ أقدم العهود وخاصة عهد الولاة قد ضاعت، غير أننا نعثر على بعض الرسائل أو الخطب في هذا العصر. ومن بين النصوص التي احتفظت لنا بها المصادر في عهد الولاة، "رسالة كتبها عبد العزيز لتدمر أحد الحكام الإسبان حيث ضمن رسالته بعض الشروط التي تحفظ للنصارى حقوقهم وتقيدهم بواجباتهم نحو المسلمين بعد زوال أميرهم¹، ومن ذلك "رسالة كتبها يوسف الفهري إلى عبد الرحمان الداخل لما كثر أتباعه"².

2"الرسالة في عهد الإمارة:

تبدأ فترة الإمارة بحكم عبد الرحمان الداخل، وتولى شؤون الإمارة الأندلسية وتنظيمه للدولة، وقد اشتهر عبد الرحمان الداخل بفصاحته وبلاغته وأنه كان من مطبوعي الشعر غير أن الذي يجدر بنا أن نقف عنده هو الأداء النثري وخاصة الرسالة في هذا العصر، ولكن جل الكتب التي تناولت الرسالة في هذا العصر ضاعت، إلا أن بعض المصادر حفظت لنا رسائل قليلة، ومن بين الرسائل التي دونتها هذه المصادر "رسالة أمية بن زيد إلى بعض العمال والتي كتبها بطلب من عبد الرحمان الداخل"³.

ونذكر على سبيل المثال "رسالة كتبها عبد الرحمان الداخل مجيباً على رجل يشكو إليه فقره"⁴. وقد امتازت الرسالة في عهد الإمارة بالسجع والازدواج والتكلف في التتميق والجهد في الصنعة واحتوائها على موضوعات عديدة كالشكاوي وغيرها.

3:الرسالة في عهد الخلافة:

تبدأ مرحلة الخلافة في الأندلس من زمن القوة إلى سنة 366 إلأواخر القرن الرابع وهو زمن وقوع الفتنة، وقد تنوعت الرسائل في هذا العصر كما تنوعت الفنون النثرية فظهر النثر الإعلامي الذي احتوى في طياته رسائل التبليغ ووصايا الاستخلاف وبعض المناشير التي يكتبها القادة.

¹ علي بن محمد، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله، دار الم غرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط1، 1990، ص 142.

² علي بن محمد، المرجع نفسه، ص 143.

³ علي بن محمد، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله، ص 144.

⁴ علي بن محمد، المرجع نفسه، ص 145.

كما ظهر النثر التنظيمي الذي يعتني برسائل التوظيف في المناصب السامية على غرار سجلات الزعامة بين القبائل كما لا ننسى النثر الخطابي والنثر البياني إضافة إلى النثر التدويني.

ومن الرسائل التي كان لها صدى في هذا العهد رسالة صدرت عن المنصور بن أبي عامر يخاطب فيها بعض الجنود الذين فروا أثناء إحدى حملاته على النصارى. ومنها قوله: "وكثيرا ما فرط من قولكم، وسبق من عزمكم، أنكم تجهلون قتال المعادل والحصون، وتشتاقون ملاقات الرجال على العلوج، فحين جاءكم شانجه بالأمينة، وقاتلكم بالشريطة، وظهرت لكم رعة الطائفة النصرانية أنكرتم ما عرفتم، ونفرتم مما ألفتكم حتى فررتم فرار اليعاقير من أساد الغيل، وأجفلتم إجمال الرئال عن المقتنصين فألحقتم العار بأنفسكم بعد اختيار لكم وطرفهم الشر على أعناقكم، وضيعتم حرماكم، وأحظرتم ذمتكم فلا نعمتي رعيتكم، ولا تزييني حفظتم ولا وجوهكم أبقيتم، ولا غضب الله ورسوله اتقيتم فقد قال الله عز وجل: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (الأنفال: الآية 45) وقال: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الأنفال: الآية 16).

فقيم ولما كان انحيازكم؟ أشكا في وعد ريكم؟ أو خورا في أصل طبعكم؟ أم عجزا عن دفع باطلهم بحقكم؟... ما كان إلا لسفهاً حلامكم وسوء نظركم في عاقبة أموركم، يا أحلام الأطفال والأخلاق الرجال.¹

إن هذه الرسالة مشحونة بالغضب والنقمة على الجماعة الفارين وهي تمثل التطور الكبير الذي أصاب الرسالة في زمان الحكم أي عهد المستنصر.

لقد ارتبطت الرسالة في الأندلس بما يعرف بالنثر الوظيفي في الأندلس حيث كان للرسالة في هذا العصر مضامين كثيرة، فتعددت أنواعها واختلفت مجالاتها من داخلية وخارجية وتوزعت الرسائل ما بين رسائل ديوانية تكشف عن جوانب تاريخية وسياسية مهمة، وبين رسائل إخوانية تكشف عن صلات جديدة بين أدباء الأندلس حيث تناولوا موضوعات طريفة كموضوع الرزوريات ووصف الغيث وما إلى ذلك.²

¹ على بن محمد، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله، ص 176.

² فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 5.

وقد كانت الرسائل في الأندلس ذات مهمة عميقة توحى بجوانب الفكر في مجال النثر الفني في الأندلس كما كانت تحتوي في طياتها على دراسات نقدية كرسائل أبي عبد الله بن أبي الخصال وأبي محمد بن القاسم في غرض الترحيب.

ونظرا لتطور النثر في الأندلس وكثرة مواضيعه وتعدد أغراضه وحرص الكتاب على الارتقاء بمستوى الرسالة دعى الكتاب إلى الإنتاج الأدبي وإظهار نثر جديد يتماشى مع طبيعتهم الأدبية وكان ذلك يتم بواسطة الرسائل.

ومن أهم ما يمتاز به أدباء الأندلس أنهم نظموا إنتاجا نثريا جديدا جعلهم يصنفون في الطبقة الأولى من كتاب النثر في الأندلس على شاكلة أبي عبد الله بن أبي الخصال وأخيها بني مروان وعبد المجيد بن عبدون وأبي بكر بن عبد العزيز وغيرهم.¹

وقد كانت الرسالة في الأندلس متنوعة فمنها الرسالة الديوانية والرسالة الإخوانية والرسالة الدبلوماسية وقد احتوت هذه الرسائل على منهجية محددة في الكتابة وخاصة الرسالة الدبلوماسية التي صاحبت تأسيس قواعد الكتابة في الأندلس.²

لقد امتزجت الرسالة في الأندلس بطابع سياسي وخاصة في عهد المرابطين وكان أغلبها صادر عن ديوان الإنشاء الرسمي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي تولى إمارة المسلمين في المغرب والأندلس بعد وفاة أبيه سنة 500 هـ ودام حكمه حتى سنة 538 هـ وقد ازدهر ديوان الإنشاء في عهده ازدهارا واسعا لم يشهده من قبل.

" ولم يزل أمير المسلمين علي بن يوسف يستدعى أعيان الكتاب من أوطانهم من جزيرة الأندلس، وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك آخر وأخذ رجال البلاغة من أمثال أبي بكر محمد بن محمد المعروف: بابن القيطرنة، وأبي عبد الله بن أبي الخصال، وأخيها بني مروان والى محمد عبد المجيد بن عبدون في جماعة يكثر ذكرهم".³

واستأثر أبو مروان بن أبي الخصال بأغلب الرسائل الديوانية الواردة في هذا الجمع فقد كان ذو بلاغة كبيرة وطريقة فذفي كتابة الرسائل خاصة الإخوانيات.

¹ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 6.

² الربيعي بن سلامة، الأدب المغربي والأندلسي بين التأسيس والتأصيل والتحديد، دار بهاء الدين، الجزائر، ط1، 2010، ص 160، 161.

³ فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 17، 18.

وكان أبو مروان وأخوه عبد الله من أعظم كتاب الدولة المرابطية وأهل العلم بها.¹ وكانت جل رسائل أبي مروان صادرة عن ديوان الإنشاء بمراكش، وقد ذكر المراكشي أن أمير المسلمين علي بن يوسف كان واليا على مدينة بلنسية وإن مجمل الرسائل التي كتبها ابن أبي الخصال كانت في معظمها عن يوسف بن تاشفين وجوابه عن الملوك والأمراء مثل الرسالة التي كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال إلى صاحب فاس عندما كانت الدولة المرابطية تعاني من مؤامرات وفتن داخلية حيث دعى فيها إليباخمد نيران الفتنة التي أشعلها محمد بن تميم، وقد احتوت على: "الخائن الشقي والسفيه الغوى الذي لم تحمد منه شيمة ولا استقلت به فترة سليمة ولا فارقت في المبدأ وتدرجه في المنشأ صفاة ممقوتة ذميمة".² حيث أثني في الرسالة على صنيع صاحب فاس حين اعتقل ابن تميم.

إن الدارس للنثر الأدبي في الأندلس وخاصة النثر الفني يرى أنه قد مر بمراحل زمنية وظروف تاريخية متنوعة أسهمت في تطوره، وساعدت على تنوع مظاهره وإشكاله حيث نلاحظ أن النثر في القرن الخامس وما بعده يختلف اختلافا جذريا عن نثر القرن الأول والقرن الثاني وماتلاه.

فنحن إذا قرأنا خطب الأئمة الرستميين أو الرسائل التي كانت متداولة بين أمراء المغرب والأندلس وخصوصهم، أو تلك التي كانت تتداول بين أمراء بني أمية خاصة في القرن الثالث والرابع وما يوازيهما من القرن الخامس وما احتواه من تطور في آليات هذا النثر.³ وإذا كان النثر الأندلسي قد شهد تطورا ملاحظا فإن جلّ الدارسين قد قسموه إلى رسائل وخطب ووصايا وغالبا ما يتوقفون عند الرسالة باعتبارها الفن الذي طغى على بقية الفنون فقسموها إلى نوعين هما: الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية.

أما النثر الوصفي ذو الطابع الفني المكتمل الذي يغلب فيه جانب الإمتاع الجمالي على جانب تحقيق المنفعة الإخبارية فإنه لم يبدأ إلا في أواخر القرن الرابع هجري. ثم نهجت سبله في القرن الخامس وبلغ عندئذ أقصى مراميه.⁴

¹ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 19.

² فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 16.

³ الربيعي بن سلامة، الأدب المغربي بين التأسيس والتأصيل والتحديد، ص 117.

⁴ ينظر: فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 24.

وكان للنثر الوظيفي في الأندلس مجالات متعددة من خلال ما قدمه الكتاب في القرن الخامس خاصة كتابة الرسالة وطريقتها ومما يلاحظ أن الرسالة في هذا العصر قد تضمنت شأنًا من شؤون الحياة العامة كتأكيد الوفاء بالمعاهدات أو رفع المظالم والمطالبة بالحقوق أو تضمنت تهنئة أو تعزية ومن ذلك ما كتبه يوسف الأول لتعزية الملك دونبتره لالفونسو وتهنئته باعتلاء عرش آراغون سنة 736 هـ يقول فيها: "بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الكريم"

السلطان الأجل الأكرم المرفع المبرور المشكور الأوفى لأخرسأما بعد فإننا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة حرسها الله".¹

إن الملاحظ في هذه الرسائل قد اقترنت بالدعاء، وكان فيها المرسل يذكر دائما السلطان الأجل أو السلطان الأعظم في البداية، أما الرسائل الإخوانية فتبدأ بمقدمة قصيرة يخلع فيها الكاتب على من يخاطبهم من أصحاب بعض الألقاب مثل: السيد الأجد أو السيد الأوحى كقول أبي مروان بن أبي الخصال في رده على القاضي أبي مروان ابن عبد الملك قوله وقد وردني كتابه العزيز السيد الأوحى، الذي عدل به في الأغراب وأدار فيه ملح العتاب وكساه من رائق الكلام ما أخذ بالمسامح والألباب فبورك في مخبرة السيد الأجل من خطيب صائب البيان رقيق حاشية اللسان.²

وتمثل هذه الرسائل الطريقة الفنية المعتمدة في ذلك العصر من الالتزام بالسجع في أواخر الفقر والفواصل، وتوشينها بالشعر والأمثال والتورية بالأسماء وتضمين القرآن والحديث، وكانت هذه العناصر مطلب يسعى كل كاتب إلى تحقيقها في رسائله إذ كانت مهاراته تقاس بمدى أخذه من هذه العناصر وتوظيفه لها وتعد رسالة ابن عبدون وأبي عبد الله بن أبي الخصال المسماة الحولية مثلا واضحا لهذه الطريقة ولا سيما التلويح بأسماء الأشخاص من شعراء وكتاب وغيرهم كما كانت الرسائل تدور حول موضوعات وصفية فمن ذلك رسالة ابن الصاحب في وصف جامع قرطبة وإظهار براعته في التشبيه والتصوير وقد كتبها حين حضر إلى قرطبة ليلة القدر قال: "والجامع قد كسى بردة الأزدهاء، وجلى في معرض البهاء، وكأن شرفاته فلول سنان أو اشرفياً سنان، وكأنما على سمائه كلل، أو خلعت على أرجائه حلل".³

¹ الربيعي بن سلامة، الأدب المغربي بين التأسيس والتأصيل والتحديد، ص 170، 171.

² فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 27.

³ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله ابن أبي الخصال، ص 29.

وهذا وقد اعتنى ابن الصاحب* بوصف أجزاء وأجواء المسجد كما رصد ابن الصاحب في رسائل أخرى صوراً أخرى لبعض العلماء وهم يتدارسون حيث قال: "تتسكب العلوم بينهم انسكاب الودق ويجهدون في دفع الضر ويعمدون إلى قرع العمدة بالدرر".¹

رابعاً: أنواع الرسالة في الأندلس:

تختلف الرسالة في أصنافها باختلاف الموضوعات التي تطرقها ومن بين أنواع الرسائل التي ظهرت في الأندلس الرسائل الديوانية والإخوانية والسياسية إضافة إلى بعض الأنواع من الرسائل الأدبية والاجتماعية ومن هنا فقد ارتبطت الرسالة الديوانية بالديوان ويقال لها أيضاً الرسالة السلطانية وهي تلك الرسائل التي تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك فيوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه بل ولأعدائها أحياناً منذراً ومن ذلك نذكر الرسالة التي كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال على لسان يوسف بن تاشفين يدعو أهل مراکش إلى الجهاد.²

وقد كان لكل خليفة كاتبه الذي يتولى كتابته في كل مهام الدولة وشؤونها من رسائل ومنشورات وعهود ومبايعات وغيرها ولم يكن يرقب إلى منصب الكتاب لدى الخلفاء والملوك إلا كبار الأدباء والشعراء كأبي عبد الله بن أبي الخصال وابن عبدون وغيرهم وقد شاع هذا النوع من الرسائل في هذا العصر ومن ذلك ما نستشهد به تلك الرسالة التي كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال يبرز فيها براعة الكاتب وبيان قدرته على التحكم في اللغة وتصريفها في مختلف موضوعات الحياة بحيث يستطيع أن يبدع في أبسط الأشياء قطعاً، ومقالات في غاية الرقي الفني ومن ذلك ما قاله أبو عبد الله بن أبي الخصال رداً على ابن بسام قوله: "وقد وجهت من المنظوم طيها ما حضر، وعذرى إليك -أعزك الله- في أنني خطت والنوم مغازل القر منازل، والريح تلعب بالسراج ونصول عليه صولة الحجاج فطورا تسده سننا وتارا تحركه لسانا وآونة تطويه حباباً وأخرى تنتشره ذوابة وتقيمه أبرة لهب، وتعطفه برة ذهب. والنار كالصديق أو كالرحيق كلاهما عنقاء معرب أو نجم مغرب".³

ومن ناحية أخرى فإن هذه الرسائل تؤكد ازدهار النثر الديواني في العصر الأندلسي، حيث اتسمت مجمل الرسائل بهيمنة الجو الديني عليها، فالكتاب يوشون أسلوبهم بآيات القرآن الكريم،

* هو ابن الصاحب الصلاة (أبو عبد الله محمد بن الفقيه أبي الأصبح عيسى بن قاضي، ينظر المن بالامامة، ص 10)

¹ فوزي سعد عيسى، المرجع السابق، ص 29، 30.

² فهد خليل زايد، الكتابة فنونها وأفنانها، ص 63.

³ الربيعي بن سلامة، الأدب المغربي والأندلسي بين التأسيس والتأصيل والتجديد، ص 208.

حيث أنّ في أفكارهم ومعانيهم تصورا دينيا واضحا، ولقد حرص الأندلس على إتقان فن الرسالة حيث جعلوها تمتاز بالبساطة والوضوح والتفنن في الصنعة، وذلك بساطة العبارة ووضوحها بأن تكون خالية من الغرابة والاستغراق في المعنى إضافة إلى تميزها بالسجع الذي يعطي الإيقاع الموسيقي "وإذا حاولنا التوقف عند واحد من جوانب الصنعة التي شاعت في نثر ذلك العصر، الذي اعتمد كتاب الرسالة فيه على إبراز السجع وأنماط من التلوينات الصوتية المختلفة.

ولقد تطورت الصنعة الموسيقية مع الزمن، وتنوعت مستوياتها، واختلف باختلاف الكتاب¹ والرسالة - في العصر الأندلسي - جديدة في موضوعها، ظريفة في أوصافها، يغلب عليها الهزل والدعابة، حيث تؤكد قدرة كاتبها على التفنن في الوصف. ويبدو أن الرسالة قد حظيت بأصحاب المجاميع "لأننا نجد صاحب مجموعة رسائل أندلسية قد أثبتتها في كتبه".²

غير أن الرسائل في الأندلس لم تأت مستقلة في ذاتها وإنما جاءت في إطار مزج حيث تشترك الرسائل الوصفية والرسائل الإخوانية في طريقة الكتابة، ولذلك حرص أصحابها أن يجعلوها (الرسالة) مجالا لإظهار براعتهم في الوصف وتفننهم في الكتابة.

خامسا: أنواع الرسالة عند ابن أبي الخصال:

يعد أبو عبد الله بن أبي الخصال من أشهر كتاب الرسائل في الأندلس ولهذا قد أطلق عليه لقب رئيس كتاب الأندلس حيث حظى بمنزلة كبيرة بين كتابها وخاصة من قبل ناثيرها، فقد لقت رسائله رواجاً كبيراً.

ولقد كتب أبو عبد الله بن أبي الخصال في نوعين من الرسائل هما الرسائل الديوانية التي تصدر عن ديوان السلطان "أول أمير من أوائل الحكم بينما فتتناول الرسالة الأدبية أغراضاً عامة من مكاتبات إخوانية أو مناظرات أدبية أو وصف مشاهد شخصية".³ حيث تشتمل هذه الرسائل على خصائص ومميزات عديدة ،

¹ ينظر: الربيعي بن سلامة، المرجع نفسه، ص 178.

² فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 22.

³ ينظر: فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 2002، ص

1: الرسالة الإخوانية

وتشغل الرسائل الإخوانية مساحة واسعة من نثر ابن أبي الخصال على غرار الرسائل الأخرى: "وتشير هذه الرسائل إلى صلته بمعاصريه من الأدباء والعلماء والفقهاء فله رسائل في أبي بكر بن العربي فقيه العصر وأبي الوليد بن رشد".¹

وتدور مواضيع الرسالة الإخوانية حول موضوعات عديدة تتصل بالصدقة أي التي ترسل بين الأشخاص كالمودة والايحاء والتهادي والعتاب والاعتذار" كما تتناول قضايا الكاتب وإخوانه، بعضها يتعلق بصناعة الأدب والكتابة، وبعضها الآخر يتصل بأمور اجتماعية شخصية".²

إن من أهم الرسائل الإخوانية التي كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال، تلك الرسالة التي بعثها للبأحد أصدقائه من الكتاب جاء فيها " نَعَمْ. نِعَمْ ناصرك، وأشرقت مطالعة ومناظرك، وروض بادك وحاضرك، وشقتك البروق وتتكب ساحتك الشب الروق، فإن أدبك الينع هب هبوب النسيم، وخلص إلى خلوص البرء إلى السقيم، وألقى عصي الحاضر المقيم حيث انصلت أسنة الأقلام ووضعت أوزار الكلام واتبعته بعد الحول اسم السلام وفارقت مفارقة عمرو حيث شب لطوقة ونبذته نذب أبي صخر بعد الحاجينة لنسيبه وشوقه وخلعته خلع المفارق للشباب المفارق، ولطالما أطعتها أميرا وقطعت الليل به سميرا، وقمت عليه قيام الوازع، وصاديته مصادة السرب النازع، فالآن حينأثرت على النصب الراحة وقلت له ما قال لناقته بعد الحساء ابن رواحة ونصب من القنتر وعطلت قوسه من الوتر، وودعته كما ودع يحي ابن أبي طالب اليمامة، ومالك ابن الريب نجدا وتهامة فتلك فوارس الأقلام لاتنتهز فرصا، وجوارها لا تزيع قنصا، ولو قبيض لها إنهاض" وأتيح تصوب وانقضاض لزاحمتها الرخم وكان لها دونها الحظ الأفحم".³

امتازت هذه الرسالة بقوة الفصاحة، والرونقة في الأسلوب حيث ضمنها الكاتب ألفاظا زادت بها وجمالا، كما نلاحظ اعتماد الكاتب في رسالته على مقتطفات من التاريخ من أجل البرهنة والإقناع إضافة إلى أن الرسالة قد احتوت على تسلسل الأفكار والإلمام بالموضوع كما اعتمد الكاتب فيها على خاصة السجع إضافة إلى بعض المحسنات البديعية الأخرى والصور البيانية.

¹ فوزي عيسى، المرجع نفسه، ص 164.

² فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، المرجع السابق، ص 116.

³ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 164، 165.

وتتنوع مواضيع الرسائل الإخوانية التي كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال من رسائل احتوت في موضوعاتها على مضامين عديدة من بينها المداعبة والمباسة والتعازي وغيرها من المواضيع التي اشتملت عليها رسائل أبو عبد الله بن أبي الخصال.

وإن في مراسلات أبي عبد الله بن أبي الخصال مجموعة من الرسائل تدور حول المداعبة والمباسة بينه وبين أصدقائه، وقد عرف هذا اللون من الرسائل في النثر الأندلسي، وبرع فيه كتاب كثر مثل أبي شهيد وابن طاهر وغيرهم، ولقد تعددت هذه الأنواع من الرسائل والمواضيع وعلى سبيل المثال نذكر تلك الرسالة التي كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال التي تخيل فيها أنه نعي لأهل بلده فتضحكوا واستبشروا فيحمل عليهم ويتهمهم بأنهم يجهلون أقدار الرجال، ومما جاء في هذه الرسالة " وإني مررت على بلدي فأوهى جلدي وأرهقني صعودا، وأخلفني قياما وقعودا فقد كانت الأخبار ترامت إليهم، ونعتني حقا لديهم، فكلهم ناضر متوسم وبالك متبسم، إذا توهم الخطر استعير، وإذا عاين السلامة ضحك واستبشر، ومنهم من دفع العيان وقال: ما هكذا كان، وما جاز الريب لولا الشيب ! وناهيك - أيدك الله - من قوم ينكرون الأنوار ولا يعرفون النهار، قد تزاور عنهم المشيب، واخترقتهم الخطوب، وغمضوا عن وقائع الزمن وخلو من الهم خلوهم من الفطن واحتقرتهم الخطوب وغنوا عن وقائع الزمن ونزلوا الحضيض بدلا من الفتن وحاش أن تكون لهم مخطأ، أو تجد لهم الأحداثحظا".¹

لقد كتب عبد الله بن أبي الخصال في هذه الرسالة لأهل بلده ناصحا لهم مذكرا بمقامه فيهم حيث استعمل مجموعة من الصور البيانية إضافة إلى البان الرسالة تحتوي على الاقتباس والتضمين، خاصة من الشعر الذي كان جوهرها أساسيا في هذه الرسالة.

ولعبد الله بن أبي الخصال رسالة أخرى في المداعبة والمباسة تعد من أهم الرسائل الإخوانية وهي رسالة كتبها إلى صديقه أبو الحسن يعاتبه ويذكر له ما كان بينهما من ود ومداعبة جاء فيها، " ألا عم صباحا أيها الطلل البالي:

وأعز على أن اضرب هذا لودك مثلا - وأدعوه على قرب العهد - طلالا لقد انتكثت عهدنا عن كذب، وآل ما كان من عجب إلى عجب، ولن يلبث الواشون أن يصدعوا العصي فصفى الله - أبا الحسن - أيام صفائك ما يصرها ومن بعطفه تعيدها وتكرها، ذلك إذا انجلت هذه العماية وانفتقت ولاية والله في كل شيء آية.

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 124، 125.

وأها! أين ذلك النظام ومانسق، والزمان وما وسق ! لقد أولى حميدا وذهب فقيدا كذلك كل أيام يعدن ذواها مذهب شتى وسير لا يحصر بحتى وإخوان فرقتهم النوا أيدي السبابين شمال وصبا، صفى حج وأخر جلع في الإقامة ولج وعزم أن يفجعنا بأسنة ولا يزيننا بنفسه".¹

إن المداعبة في هذه الرسالة مداعبة لفضية "تقوم على الطريقة البدوية في التعبير كاستعمال الألفاظ والصور البدوية"². كما تقوم على تشبيه عهد الود المنصرم بالطلل الباكي وهي فكرة استقاها الشاعر من مطلع قصيدة لامرئ القيس حيث جعلها في مطلع الرسالة ليشبه هذا الود البالي بالطلل البالي وليربطها بالفكرة السابقة والتي تتمثل في الجنوح بالأسلوب البدوي في التعبير وهو ما عرف به النثر الأندلسي عامة وخاصة في الرسائل الإخوانية التي كان يكتبها عبد الله بن أبي الخصال.

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 125، 126.

² فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص 178.

أ- التهادي

يعد التهادي موضوعا من مواضيع الرسائل الإخوانية في نثر ابن أبي الخصال، وهو انعكاس واضح للتطور الحضاري الذي تميز به المجتمع الأندلسي وهو من ناحية آخرتناكيد على رسوخ أوطار المودة والمحبة بين الكاتب وأصدقائه.

ولابن أبي الخصال في هذا الباب رسائل عديدة كتبها إلى مجمل أصدقائه تتضمن

إهداء أو تبادل للمواضيع، ومن بين الرسائل في هذا المجال نذكر: رسالة كتبها إلى أحد أصدقائه جاء فيها: "أعزك الله لما كان ألطف المعاني مأخذا، وأقربها للأرواح خلوصا ومنفذا ما هب نسيمًا، وسرى شميما، وتتافس فيه الأنفاس نشقا، وتبارت به سبقا واستخفته ثقلا، ولم تحمل منه ثقلا تجهزت إليك بلطيمة وفارة مسك تاجر بقسيمة، مسك يحمل رج الثغور ودعج العيون الحور، كأنما تألف من خيلان الخدود وحلم النهود. تثبتت بين الغرائز السود أو نصحته ليالي الوصال طللا، وأجنته سفها ضلا يشق بالوهم، فيرسخ رسوخ الفهم، ويعلق بالإيمان، فيثبت ثبوت الإيمان، وسيوجد له في السرائر يوم تبلى شذا لا يبلى"¹

إنأبرز ما يلاحظ هو أن رسالة التهادي تحولت إلى قطعة وصفية عند ابن أبي الخصال يجعلها معرضا لإثبات مهاراته في رسم الصورة وتوليها وفي تصويره للمسك الذي يعتمد على عنصر اللون والرائحة- وهذا القول مقتبس من قول عنتره ابن شداد:

وكأن فارة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم

وهو في تصويره للمسك أكثر وضوحا فهو يعني بإيجاد علاقات بين موضوعه الوصفي "وهو المسك" وبين العناصر الأخرى المشكلة للرسالة التي تضمنها الإهداء فالمسك في سواده- الهدف من توظيفه- أنه يشبه دمج العيون الحور ويشبه الشام التي تكون في الخد وكل هذه العناصر والصور خلقت لنا صورة شعرية كبرى هي التهادي كما كان للتهنئات والإيحات دور في هذه الرسالة لأنها خدمت الصورة وتجلياتها.

ومما يتصل بموضوع التهادي رسالة كتبها عبد الله بن أبي الخصال ردا على رجل أهدى إليه هديتا لاستخدامها في الأعمال المتصلة بمهنة الكتابة ولكن ابن أبي الخصال رأى في هذه الهدية نذير شر فوبخ مهددا لهاديها وانقلب عليه هاجيا ومما جاء في هذه الرسالة " أما بعد تلت لخدك، وذبحت بحدك، وعلقت بنوطك، وجلدت بصوطك، فاك بشبابك، وحملت على

¹فوري عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص 180، 181.

أسنتك وذباك فإنك تائه جهالة، وحائر ضلالة، وحائن ماهنة، وخائن أمانة، فتحت بعنف، وتحافقت بحتف، وفتحت على نفسك باب خسف، وفريت بما أرهفت، وأمهيت أديم حالك، وقطعت بما اصطنعت حبل اتصالك، وجرأتك على بما تعلم تنزها عنه، وبعد منه أشد نكاية، وأحد حناية، وهذه مرهفاتك التي انتضيتها، والمذروويات التي شرعتها وأمضيتها، قد عادت إلى نحرك وارتادت مواقعها من فؤادك وسحرك فانتهج لها سنن واعد من الأعمال الصحيحة جنبا، فإنني لا التمس إلا مخالتك ولا أرقب بالمناقشة إلا مقائلتك قرب مقتول بما شحذ ومأخوذ بما أخذ".¹

إن الحدة التي تميز هذه الرسالة والتي تجعل منها أقرب إلى موضوع الهجاء وهو موضوع لا يتناسب مع طبيعة رسائل التهادى فهناك جفاء قديم، وود مفقود بين الكاتب وصاحب الهدية وأغلب الضن أن هذه الهدية قد اقترنت بإثم كبير ارتكبه الرجل في حق ابن أبي الخصال وهي تدل - وإن كان موضوعها يقارب الهجاء على التهادى والود المفقود الذي أثار الكاتب ورده.

ب-التهنئة:

تتنوع الموضوعات في الرسائل الإخوانية ومن بين الموضوعات التي طرقها ابن أبي الخصال في رسائل التهنئة والتي تمثل لون من ألوان المشاركة الوجدانية بين الكاتب وأصدقائه تعبيراً على أوصار المودة والصداقة وتتنوع الموضوعات التي تتناولها رسائل التهنئة فمنها ما يتصل بمناسبات اجتماعية صارة كالزواج أو التهنئة بمولود. ومنها ما يتصل بمناسبات شخصية. كالتهنئة بولاية القضاء وغيره وقد كتب عبد الله بن أبي الخصال في هذا النوع رسائل كثيرة من ذلك رسالة تهنئة كتب بها إلإلأحد العمال يهنئة بولايته ومما جاء فيها "أدام الله عزك والقتاد ثمار، والثمار غمار وعود الزمان، بعودتك الحميدة نضار أجل ! لقد شب بعد الهرم، وأعرب عن عهد صريح الكرم وإن نهرا لبس رونق بهائك، وملكا شد باكتافك واوثر بقية غمرك الزاكية وغناءك بجدير أن تضحك رياضة وتقفه حياض فالحمد لله الذي أحيالأعمال منك بزادانها من بعدما ضرب على آذانها فثول الفئ تكسع بأغبارها وعلب الحلب تملأ إلأصبارها فهنيئاً لراعى الأمة وكاشف الغمة بيمين سياستك وأمن حياطتك وحراستك وهنيئاً لأولياء عامة

¹ فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص 182، 183.

ولى لك خاصة، ما أتقلده من إمامتك وأناله بتجدد كرامتك من ثبرت طائفة ومسريرة في كل عضو جائلة".¹

إن من ابرز ما يلاحظ على هذه الرسالة اهتمام ابن أبي الخصال بالصنعة اللفظية وجنوحه إلى التأنق اللفظي "وعنايته برسم الصورة وإكثاره من الإشارات والإحالات والتضمينات إلا أنه ابتعد في رسالته هذه عن الشعر وقد طغى على هذه الرسالة السجع الذي أعطاه نغما صوتيا"² إضافة إلى تضارب الألفاظ واستعمال المفردات استعمالا تسلسليا يوحى بالفكرة.

ج- العتاب:

يعد العتاب موضوعا رئيسيا من أهم المواضيع التي تناولها ابن أبي الخصال في رسائله الإخوانية، فمن ذلك رسالة كتبها إلأحد أصدقائه يعاتبه فيها لأنهاأصاخ سمعه لبعض من حاولوا الوقيعة وإفساد الود بينهما، وقد انقاد ابن أبي الخصال في هذه الرسالة فلم يتصنع فيها وهذا يرجع لطبيعة الموضوع التي تناولته، وقد استهل رسالته بالحديث عن المودة الراسخة التي لاتنفصم عراها قال: "ليس الود- أعزك الله- بتزويق اللسان، ولا تميمق البنان، ولا الشأن في روية مكثية ولا بديهية حثثية، ولا في أساطير في الصحف مبنوثة، وإنما هو ما وقر في الفؤاد ورسخ في الاعتقاد، وتثبت في مواطن الاعتداء ولبس الجدة والقدم، وخامر اللحم والدم وتلك سبلنا المستمرة وحالنا المستقرة التي لا تنفصم - بحول الله- عراها ولا تحنل قواها ولا تنقاصر - يد الزمان- يداها ولا يقف دون مداها- والمستعان الله- مداها".³

لقد خلت هذه الرسالة من التصنع واحتوت على الأسلوب المباشر لأنها تتناول موضوع إخواني وهو موضوع العتاب كما احتوت على الجمل القصيرة والألفاظ المعبرة والموجهة وكان طبيعيا أن يدرك صاحب هذه الرسالة ويصغى إلى نداء الضمير بعد أن وقع ضحية المآمرات.

د- التعازي:

ولابن أبي الخصال مجموعة من الرسائل موضوعها التعزية، يجمع فيها بين موضوع الرثاء في الشعر. فلا فرق بين رسالة التعزية وقصيدة الرثاء إلا القالب الشكلي فالقصيدة منظومة والرسالة منثورة، أما المعاني فتكاد تكون واحدة، لأن الكاتب ينحو فيها منحى الشعراء من الإشادة بمحاسن المتوفى والإكثار من التفجع لفقده، وإظهار مدى الخسارة التي حاقت

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 132، 133.

² فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، 185.

³ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 134.

بأهلها الدعوة إلى التأسى والتحلي بالصبر، وغالبا ما تتقدم رسالة التعزية بمقدمة قصيرة يمهد بها لموضوعه ويؤكد فيها على أن الموت حق مؤكد ينبغي التسليم به ومن ذلك قوله: " الدنيا جفاء ومبره، ومساءة ومسرة، وسائل وعاشق وقال وواق، وميت ومولود، ومعدوم وموجود، ولقاء وفراقا، وغنم وإبراق، أناتها إجمال، وخطوبها ارتجال، وحروبها سجال" ¹، وقد يقدم في رسالة التعزية بيتا أو بيتين من الشعر تتسجم مع طبيعة الموقف.

2:الرسالة الديوانية:

لقد قضى عبد الله بن أبي الخصال معظم حياته في خدمة السلطة فاتصل بأبي عبد الله بن الحاج وابنه الأمير أبي يحيى ويوسف بن تاشفين وغيرهم، فتتوعت الرسائل التي كتبها عليهم واختلفت مواضيعها، ومن أهم المواضيع التي كتب فيها موضوع الحرب والجهاد فكانت أهم رسائله " تلك الرسالة التي كتبها على يوسف بن تاشفين لإعلام أهلا لأندلسلتأهب وغزو العدو" ²، ورسالة أخرى كتبها عبد الله بن أبي الخصال إلى عسكر يوسف بن تاشفين جاء فيها: "من أمير المسلمين وناصر الدين على بن يوسف بن ياشفين، إلى القوم الذين استزلهم الشيطان واستهواهم الخذلان، وغضب عليهم الرحمان، ونزل بعذابهم القرآن -إلا من تاب الله عليهم- أن علم في قلوبهم خيرا يقبل به متابهم، ويظهر من دنس الفرار ثيابهم، ويعتق من ذل الكبول رقابهم.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله الكريم وعلى آله وسلم تسليما. سلام على رجال من المؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وتقربوا بالصبر الجميل إليه ونازلوا الأقران بين يديه، ففازوا بالحسنين وحازو شرف الدرجتين أولئك الذين يحبون ويجلون، وحين يموتون بفضل المختوم والحوض الذي أنيته بعدد النجوم يسقون، فالصلوات والزكيات نجومهم تحدا، والتحيات الطيبات إليهم وإلى من اهتدى بهديهم من بعدهم تهدي. لا جرمانهم الذين ابتغوا الهدى، وبلغوا من رضوان ربهم الغاية والمدى، وكلهم بكرائم الآباء والأمهات يقتدي. أما بعد يأذل من الحضيض المعبد الموطوء، ويا أعداء أنفسهما لأماراة بالسوء ويا حافظ أبصار المؤمنين بالخبر الممقوة عنهم المنشوء، ويا من يجب على المسلمين اجتنابهم كاجتناب البعير الجرب المهنوء الذين لم يثبتوا فوق مكنة لتزال، ولا تحرفوا إلى قتال ولا تحيزوا إلى فئة تحمى أدبارهم بإقبال، ولا خطر عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ببال، شاهت وجوهكم التي

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 134.

² فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 59.

عرضتموها للتشويه والتقييح وأخرجها اجترامها عن تعريض التفریح إلى التصريح لقد ذهبتم فيها عريضة كالحمر المستنقرة".¹

ويكشف لنا ابن أبي الخصال في إحدى رسائله الديوانية جانباً مهماً يتصل بالعلاقات الأندلسية المرابطية، وقد كتب العديد من الرسائل على لسان يوسف بن تاشفين، ومن ذلك رسالة كتبها إلبأهلالأندلس يعلمهم فيها بنجاح مهمة الفقيه القاضي أبي الوليد ابن رشد خلال صفرته التي لقي فيها أمير المسلمين بمراكش، "وعرض عليه تدهورا أحوال الأندلسيين بعد حملة الفونسو المحارب ملك آراغون على الأندلس سنة 519 هـ، واستمرت هذه الحملة ما يقارب العام وهي رسالة يثنى فيها على القاضي ابن رشد الذي أمر بإجلاء أولئك النصاري على الأندلس، ووافقهم أمير المسلمين على ذلك"²، وتشير الرسالة إلى تجاوب المرابطين مع رغبات أهلالأندلس وأهم ما جاء في الرسالة نذكر: "فاستعشروا أنأموركماإزاء اهتبالنا، ومن أكد مؤكداً اشتغالنا، وقد عاين الفقيه الأجل المتقدم الذكر ابن رشد حقيقة الأمر وسيلغكم ذلك عنه، فلا تكونوا في ريب منه، والله - تعالى - يعيننا على ما نحن بصدده ويمنحنا من تأييده ما يعز الإسلام ويقوم من أوده بحوله وطوله وعدله وفضله"³، ورسالة كتبها أبو مروان ابن أبي الخصال على لسان تاشفين ابن علي إلى صاحب فاس في أمر محمد بن تميم حين استراب منه قال: "كاتبنا كتب الله لك في مرضاته الرأي لأصيل المحكم وجعلك ممن إذا بدا في طاعته بحزم استوفى غايته وتمم، وإذا هم بسداد ألقى عزمه بين عينه وصمم ولازلت تسبق الغادر الفاجر إلبإخراج ما نوى من الشرك وكتم، من حضرة مراكش - حرصها الله - منتصف جمادة الآخرة سنة خمس وثلاثين وخمسائة، ونحن نحمده إلبكأما بعد، أدام الله عزك فإن الكرام تنتهي إلى مكارم أخلاقها، والحياة تجرى على ماسرى من العتق المبرز في أعراقها، وتأببالاً إظهار شدها وإخراجاً عناقها، والشجرة الطيبة تجني الرائق من ثمرها، والمر من مذاقها، ولا تزال الأيام تكشف بالامتحان عن حقائق أبنائها. وتشيد ارتفاعاً أو تهدم اتضاعاً مشيدها وبنائها، وإن كاتبك الأثير المبرور وافانا في أمر الخائن الشقي، والسفيه الحائر الغوى، محمد بن تميم الذي لم تحمد منه شيمة، ولا استقلت به فطرة سليمة، ولا فارقت في المبدأ وتدرجته في المنشأ صفاة ممقوتة ذميمة، أخره الله حين لم يصلح له التقديم، وأهانهم من يهن الله فماله من تكريم ❀ومن يرد

¹ فوزي عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 112، 113.

² فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 66، 67.

³ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 67.

الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم¹.

وثمة ضرب آخر من رسائل الجهاد- وإن كان يصور الجانب السلبي لرسائل عبد الله بن أبي الخصال- أي تلك الرسائل التي كانت تكتب عن أمير المسلمين لتعنيف الجنود والقواد لتقسيرهم أو انهزامهم في إحدى الغزوات، وهو لون جديد من الرسائل الديوانية ازدهر في عهد المرابطين وبلغ غايته على يد أبي الخصال، ومن ذلك رسالة " كاد أهلاً لأندلس قاطبة أن يحفظوها، أحسن فيها ما شاء، وقد حمل ابن أبي الخصال في رسالته هذه على جند بلنسية من المرابطين حملة شديدة، وأغظ لهم القول ووسمهم بالخنوع والذل والعار، ووصفهم بأنهم من القوم الذين استزلهم الشيطان، واستهواهم الخذلان، وغضب عليهم الرحمان، ونزل بعذابهم القرآن"². ولقد حشد ابن أبي الخصال في هذه الرسالة أدواته الفنية يوظفها توظيفاً جيداً للنيل من أولئك الجنود المتخاذلين وترويعهم، فهو تارة يستخدم أسلوب المدح، وتارة يستخدم أسلوب الذم بما يشبه المدح في معرض السخرية مركزاً على الصورة القرآنية مقتبساً منها.

ومن ذلك رسالة كتبها رداً على جواب رسالة خاطب بها أبي مروان بن زكريا جاء فيها: "أطال الله بقاءك وعزك منيع، وجنابك وسيع، والزمان بمحاسنك ربيع، كتبتك وقد وصلت معجزاتك، وبرهن آياتك، مع بشرى تخليصك للوطن، واشتياقك للزمن، من بعد شدائد شمت برقها، وسقيت ودقها، وبث بمدرجة سيولها، كالحبة في حميلها، حتى كدت تكون فيها زيدا رابياً، وغثا طافياً، لولا وجار أضمر كالقسط في زنده والنصل في غمده، إلى سائر ما أوردت من أوصاف المطر، وعوائق السفر، فوددت من غير شيء يضيرك أن يمتد مسيرك، حتى تقص فاسمع سحر بيانك، وأجد حكمة من لسانك، وإن سلامتك لهي سلامة المجد ومطلقة لسان الحمد ذلك غمام تتبع ذا الحمل فشفاه، وعفا على أثار الجذب فأنساه وضرب مزنه ميت النبات فأحياه"³.

وعلى هذا النحو فإننا نجد بعض الرسائل تمتاز بالسخرية والتفريع، أما إن الرسالة التي تناولها فهي رسالة جاءت كرد على رسالة خاطبه بها مروان بن زكريا فأظهر له فيها مكانته في الوطن وخيراته.

¹ فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 119، 120.

² فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 67.

³ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 124، 125.

رسالة التولية والعزل:

وهذا لون آخر قد عالجه ابن أبي الخصال في نثره الديواني، وإذا كانت هذه الرسائل مرهونة بمقاصد محددة ومضامين ثابتة لاتكاد تتغير. فيمكن القول بأن ابن أبي الخصال طبع هذه الرسائل بطابعه، ولونها بطريقته الخاصة، من حيث الاتكاء على الطابع الديني، وتناول المعنى على نحو من التركيز والإيجاز مع نصاعة الأسلوب، وطلاوة اللغة ومراعاة السجع في أواخر الفقر والفواصل، فمن ذلك رسالة كتبها عن أمير المسلمين علي بن يوسف إلبانه تاشفين حين انضافت إليه ولاية قرطبة، ومما جاء فيها: "وقد رأينا والله نسأله الخير فيما نرتبه والتوفيق في كل ما نصنعه- أن نجمع لك قرطبة وأعمالها إلى ذلك العمل الذي أنت فيه، فإذا وقفت على كتابنا هذا، فانهض بنفسك على بركة الله إلى هناك، واجعل قرطبة دار سكنك وقرارة مثواك، وعلى مقدار مازدناك من العمل فازدد من التيقظ لاتساع ذرعك وامتداد مساعك، واستعن بالله في إعلانك وأسرارك، وخذ من أوقات ليلك لأوقات نهارك، واجعل لنظرك حذا من سهرك، ولفكرك مستمنا من تدبرك، واستظهر بحسن المشورة في مواطن الاشتباه، فإن الله سبحانه يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾. (آل عمران: الآية 159) واستخلف على غرناطة عند انفصالك عنها أبا محمد الزبير بن عمر، أعزه الله بنقواه، وألزمه استشعارك مراقبة الله تعالى من الذي نلزمك إياه، واعهد إليه بشاكلة ما نعهد إليك، والمستعان الله، ولارب سواه".¹

ضمناً أبو عبد الله بن أبي الخصال رسالته هذه مجموعة من الصور البيانية والمحسنات البديعية المتمثلة في السجع، كما ضمنها الاقتباس من القرآن الكريم، إضافة إلى احتوائها على الصنعة اللفظية والأسلوب المباشر.

لقد أضاف ابن أبي الخصال إلى رسائله الديوانية مجموعة من الأمور احتوتها رسائله، فمن ذلك بعض الرسائل التي كتبها إلى بعض الرؤساء يخبرهم فيها بتقلب الأحداث وتتابع الأمور. ومما جاء في رسائله أنه كتب: "كتبت من حضرته الأمانة بظله، الساكنة بعدله، الجانحة إلى فضله والدعاء له من الجمهور متوال والنداء إلى الله- سبحانه- في مظان القبول عال. والله يجيب فيه صالح الأدعية بعزته وقدرته، ما تركه -أيده الله بيد العمل، وحضرنى فيه

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص71/70.

إلى حد النجاز والعجل، كالكراء على الميرة وواجب الفرسان، وما يتصل بهذا الشأن قد كمل على أتم ما يرضاه، وجرى حسب ما يهواه، وصحبتنا عادة يمنه في تقضيه وبلوغ الغاية فيه".¹ إن الرسالة الديوانية باعتبارها كفن أدبي احتوت في طياتها على أمور تتعلق بالرئاسة والولاية، وقد ذكرنا ابن أبي الخصال من خلال مجمل رسائله التي كتبها في هذا المجال، والتي توحى بعقريّة هذا الرجل ورسوخه في عالم الكتابة خاصة الرسالة.

وهناك رسالة أخرى تدخل في مجال الرسالة الديوانية وهي رسالة مهمة: "كتبها ابن أبي الخصال عن أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين من حضرة مراكش لخمس باقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وخمس مائة إلى القاضي أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن عمر القيسي المالقي المعروف بالوحيد، حين وفد إلى مراكش جماعة من أهل المالقة"²، وقد احتوت هذه الرسالة على شكوى ظلم، هذه الجماعة والتي جسدها ابن أبي الخصال في هذه الرسالة: "وقد تجمعت الآن بهذه الحضرة عصائب الشاكين، وكثرت أرفاع المتضلمين، وكان من أمورهم بين ومشكل وفيهم محق ومبطل" فلم يخل ماكانوا يجيؤون من قول مزور وباطل في صورة الحق مصور وعندما التبس الكذب من ذلك بالصدق والتف المبطل بالمحق، صددنا أرفاعهم عن الوصول، وصرفنا دونها وجه القبول...

ولما كان هذا وجب أن نلتمس لأموهم وجها يتوصل به إلي معرفة الصحيح من السقيم، والمعوج من القويم، فوكلنا ذلك إلى قضاة البلدان، وألزمناهم القيام به والفحص عنه مع الأحيان".³

لقد رسمت هذه الرسالة خطى واضحة بدفع المظالم وتلقيها، فابن أبي الخصال جسّد لنا شكاوى ومظالم أهل مالقة وفيها تأكيد على منح مزيد من التفويض للقضاة، فهو يوكل إلى القاضي اختيار الحكام في الجهات الصائبة، وما ينبغي أن تتوفر فيهم من شروط الثقة والديانة والأمانة، فقد حملت الرسالة ردا على كل والٍ متناول لا يؤدي الأمانة ولا يحمل منه، وإن رأي الرعية جسده ابن أبي الخصال في هذه الرسالة.

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 71.

² فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 71.

³ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 83.

إن التنوع في رسائل أبي عبد الله بن أبي الخصال كان سمة بارزة في كتابته ضمن رسائل ديوانية بالأخرباخوانية بتعدد مواضيعها ومجالاتها من مداعبة ومباشرة إلى تعازي وتهاني وغيرها، لكن هناك شق آخر برع فيه ابن أبي الخصال وهو الرسالة الوصفية.

3:الرسالة الوصفية:

إن أبسط مفهوم يطلق على الرسالة الوصفية، هي تلك الرسالة التي تكتبت لتعالج موضوعات عديدة كالطبيعة بمظاهرها المختلفة من رياض وأزهار، كما أنها تصف البيئة البحرية بما فيها من أنهار وسفن، والبيئة الحربية بما فيها من أدوات الحرب والقتال، وقد تشمل مواضيع أخرى بعيدة عن هذا الجانب كوصف القلم والكتابة والليل والفرق وغير ذلك، حيث يعد الوصف من أهم الموضوعات التي عالجه أدب الرسائل في الأندلس¹.

وقد برع ابن أبي الخصال في هذا الفن على غرار الرسائل السابقة، فقد حمل على عاتقه مجال الرسالة الوصفية مما يدل على براعته في رسم الصورة وتشكيل عناصر الخيال المتنوع. وقد وصف ابن أبي الخصال في رسائله العديد من الأشياء التي أثارته، ومن ذلك رسالة وصف فيها ركوب البحر في بيئة الأندلس البحرية والتي فتن بها مما دفعه إلى أن يكتب هذه الرسالة إلى أحد أصدقائه عند جوازه البحر يقول: "وركبنا على اسم الله ظهر الفلك في شأني، عظيم الشأن، وقد أنشأ من أطول القطب، وأقومها، وأصلب الخشب وأدومها، وأحدثت النطق به أحداق الحيازيم، وأمسكتها إمساك الأبازيم، ثم تتبع خلله فسد، ورخوه فشد حذار على ألواحه من الانخلاع فاتصلت بقربابيسه اتصال الجلود بالأضلاع، ثم جلل سربالا من القار وسريل بالشحم في المتنين والقفار، فيمتاز بأغرب ميسم، وعاد كالغراب الأسحم وحسن في منظر ومخبر، كان الكافور خلط فيه بالعنبر له من التماسيح أجانبها ومن الخطاطيف أذنبها؛ قد استقل بحراشها استقلال السهام برياشها، أقام فيه قضيب الخيزرانة، كالاسطوانة، ساميا بجاموره سمو الملك بطرطوره، ثم رأيت قلاعه يعلى كعروس على المنصة تجلى، وقد مد ذراعيه متلقيا لوفود الرياح بالمصافحة، ومستهديا من أنفاسها منافحة، متوسدا على دفته في حال ثقلته وخفته لينفعا أهلها لأمانا ويحسن الظن بالرحمان"².

¹ فاني عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، دار بشير، عمان، الأردن، ط1، 1409 هـ، 1989م، ص244.

² فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص192.

لقد نقل لنا ابن أبي الخصال في هذه الرسالة مشهدا طريفا للبحر في حالة هيجان واضطراب أثناء ركوب السفينة، وقد أصابهم الفزع وغشيم الرعب وعاشوا لحظات عصيبة والسفينة تتلاعب بها أكف الرياح والمطر يهطل بغزارة.

إن الرسالة الوصفية تعد إحدى النماذج التي جسدها ابن أبي الخصال غير أن بيئة الأندلس وما احتوته من طبيعة خلابة وإزهار ورياض ومنتزهات كانت دافعا له في كتابة هذا المجال الذي يعد أحد رواده في الأدب الأندلسي.

وقد وجهت بعض موضوعات الرسالة الوصفية كقطع نثرية، إذ نجد له وصفا في الكتاب والقلم والخط وما غير ذلك ومن ذلك ما كتب به في وصف الخط، من رسالة إلى الوزير الكاتب أبي بكر بن أزرق جاء فيها: "خط للقلوب مختط وللأبصار محل ومحط، لا جرم أنه أولى من تلك الصدور، ومن هذي بن النور، ولقد شرب الشمول سائغا وليس القبول ضافيا سابغا....."¹

تتسم هذه الرسالة بالبساطة والسهولة وقد احتوت في طياتها على السجع إضافة إلى التفنن في البديع الذي يساعد على سهولة الوصف، كما أن الموضوع الوصفي عند ابن أبي الخصال لا يأتي مستقلا، بل يأتي غالبا في إطار رسائله الإخوانية.

4:الرسالة النقدية:

لقد شارك أدب الرسائل في الأندلس في التعبير عن الحركة النقدية فوضح كثيرا "من آراء الأندلسيين في الشعر والشعراء والنثر والكتاب، وبين مواقفهم من شعراء المشاركة وكتابهم وأساليبهم"²، وهو ما جعل رسائل ابن أبي الخصال مكتسبة بطابع نقدي حيث أدرج فيها عدة أمور من ذلك اهتمام الأندلسيين بمتابعة الحركة الأدبية والنقدية في المشرق، كما أن رسائل هذا الأخير توضح رأي ابن أبي الخصال في بعض القضايا الأدبية والنقدية التي أثرت في زمانه، ومن الرسائل الهامة في ترسيل ابن أبي الخصال، رسالة نقدية كتبها إلى الوزير الكاتب، أبي محمد بن القاسم يرد عليه في رسالته التي فضل فيها بديع الزمان الهمذاني على إسحاق الصابي، وقد أثارت هذه الرسالة -التي كتبها أبو محمد بن القاسم الفهري للترجيح بين الصابي وبديع، والذي رجح فيها أسلوب بديع الزمان على الصابي - على الرغم من أنها لم تكن موجهة إليه، ولم يكن هو نفسه طرفا في القضية فأمبرى للرد عليها ومعارضتها برسالة نقدية احتج فيها للصابي ورجحه على بديع الزمان الهمذاني، وقد استهلها بمقدمة أوضح فيها أن الموازنة والحكم

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 147.

² فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، القرن الخامس هجري، ص 223.

بين أدبيينا وغيرهما أمر صعب، وفي ذلك يقول: "الحكومة - أعزك الله - ما علمت، صعب مرتقاها، بعيد ملتقاها، وقديما تجنبها الحزماء، وحاد عنها الحكماء، وقد كان أهل الجاهلية حيث لا قرآن يردع ولا برهان يسطع وليس إلا مقتضى النظر، ومنتهى العقول والفطر، يهابون كل مهابة مواطنها ويكفون إلى التهادي والكتمان بواطنها، فلما غشيم الإسلام، ووجب الإعلان والإعلان للإعلام، رجبان تفسر الأحلام، وتتسج تلك الأحكام، ويؤثر بترجيحها وتفضيلها الكلام، فاشتدت عند ذلك الضنانة واستمدت على ذات أنفاسها الصيانة، ووقفناك منذ أيام على نفثات غر وكلام بين الصابي والبديع حر، عال تناوله خاطرك من علو، ووقع طير القلوب منه على ثمر حلو، لكنك - والله يغفر لك - جرعت الصاب منه صابا، وملأت صدور شيعه أوصابا فهم بين جموع منفضة ودموع مرفضة، ونواضر كليلة، وخواطر قليلة، ينظرون من طرف خفي ويتضمنون منك من بُرْحَفٍ لا يستقل لهم لواء ولا يرتد إليهم طرفهم وافدتهم هواء".¹

انتقل ابن أبي الخصال في رسالته هذه بعد التمهيد حيث أشاد بأسلوب رسالة ابن القاسم ولكنه عاب على صاحبها تحامله على الصابي، وأشار إلى ما تركه من آثار سيئة في صدور أنصاره، ثم عاد إلى مناقشة ابن القاسم فخطأه في البداية، لأنه قارن بين الصابي وبديع مع أنه لا وجه للمقارنة على حسب رأيه.

يقوم ابن أبي الخصال في رسالته هذه " التي فضل بها الصابي على بديع"، حيث شرع يسوق الحجج والأسباب التي جعلته يرجح الصابي، وأولا لأسباب انقياد المعنى وقدرته على التأثير في قارئه يقول: "أبو إسحاق معين القول، مقدم على الهول، يصول صول القرن في الشول، إن غضب حسبت الناس غضابا ورأت السهول وعورا وهضابا، أو رضى عاد المشيب شبابا، وفتحت السماء أبوابا، ضربت النجوم قبابا، ولبست الأرض من وشي النور ثيابا، فهو إن عزى سلى أو عاتب سرى وجلى، وأمر وأحل، أو مدح توجى وحلى، أو قدح أخلف وأبلى أو غر مول وأملى، لا جرم أن له القلم الأعلى، والذروة الباسقة لا تظهر ولا تعلق، فأما نظمه فالرأي المشور والفسق المقشور، والخصرواني المنشور، ووجه الحبيب يملا عين محبه ويصور".²

لقد تحدث ابن أبي الخصال على براعة الصابي في نظم الشعر حيث شبهه بالخصرواني كما أنه يجرى على طريقة العرب وسنتهم في الكتابة أما البديع علي حسب رأيه فقد حاد عن هذه السنن، وعدل عن طريقة العرب في الكتابة.

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 149، 148.

² فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 150.

وتقوم مجمل الرسائل النقدية لابن أبي الخصال على طريقة البديع في الكتابة حيث يميل فيها للتصنع كما يضيف عليها معظم آرائه النقدية، والرسالة تعكس تعلق الأندلسيين بالأدب المشرقي كما تشير من ناحية أخرى إلى الطريقة التي كان يتبناها ويفضلها ابن أبي الخصال في الكتابة، وهي طريقة الصابي كما جاء في الرسالة - والتي تقوم على شقين - تكتب بالبديع وتفنن في فنون القول، كما تشير الرسالة كذلك إلى قدرة ابن أبي الخصال على المناقشة والاحتجاج، فهو يعرض آراءه في ترتيب وتسلسل، يدفع آراء خصمه بحجج قوية كما لم تخلو طريقته من فن الرسائل التي عرف بها من تضمين للقرآن والحديث والشعر وتلويح بإشارات إلى أشخاص وأحداث وغير ذلك من السمات التي غدت علامات بارزة في نثره وكتابته.

5: الرسالة الاجتماعية:

وهي تلك الرسالة التي تعبر عن ظواهر اجتماعية معينة حيث تعالج موضوعات ذات صبغة صناعية تمس بأحوال المجتمع بشكل عام، وفي نثر ابن أبي الخصال ما يصور بعض هذه الظواهر وأحوال المجتمع الأندلسي، فمن ذلك رسالة كتبها إلى أحد الكبراء يدعوه للمشاركة في موضوع المصاهرة، وقد جاء في هذه الرسالة: "ما بنا - أعزك الله - يقتضى التفاوض في الدقيق والجليل، ويمد إليك عين التأمل، - والله عز اسمه - يجرى على يدك كل صالحة ومساغات في البر ناجحة ولا يخليك من مكرمة راجحة - دام عزك - ما كان عندك شائعا من المصاهرة بين فلان وفلان، وإن ذلك حديث سارت به الرفاق، وأصغت نحوه الأعماق، فصار عرفا لا ينكر، وأمر يراح به فيبتكر، ومضى على ذلك العمل، وارتبط فيه الأمل، ثم ألم به بعض الكسل، وحاد قليلا عن السنن الأفضل، لراحله لم تستمر، وحالة لم تستقر ونازعته الآن نفسه التي هي في سبيل من نزاعها وعلى مهيع من استشرافها وإطلاعها، إلا أن يلتئم الشعب ويغتص بحاضريها الندى الرحب، وقد خاطبك فلان في ذلك بما كشف عن الجلية، وأعرب بسر القضية، وكتابه هاد وكتاب سابق عجل وحاد، ومثل جدك أصرخ وجدع أنف من تعرض وشمخ، وبنى هذا البيت في عليائه، وجمع بين أرضه وسمائه، وتأثيرك مرتقب، والأمرا إذا يممته أمم وسقب لا والت لأمثالها من الجلائل مأمولة وفناؤك، بنجوم البلاد مأهولة، وغناؤك متعاط مبذولة".¹

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 85.

لقد حملت هذه الرسالة موضوعا اجتماعيا، وهو موضوع المصاهرة حيث لجأ ابن أبي الخصال إلى تصوير ظواهر هذا الموضوع الذي يكتسب أهمية اجتماعية خاصة بالمجتمع الأندلسي، وقد اعتمد الكاتب في هذه الرسالة على أسلوب التضمين والاقْتباس، إضافة إلى الخطاب المباشر البسيط السهل، واللفظة الصحيحة السليمة الدالة.

وقد تتنوع موضوعات الرسائل الاجتماعية ومن بين أهم الموضوعات التي انفردت بها موضوع الوصاية والشفاعة.

- الوصايا والشفاعة

تحتل رسائل الوصايا والشفاعة مكانا بارزا من نثر ابن أبي الخصال، ففي ترسله مجموعة كبيرة من هذه الرسائل، كما تدل هذه الرسائل على انتشار غيرها ظاهرة الوساطة على نحو واسع في العهد المرابطي نتيجة عوامل اجتماعية كان أبرزها وضع الأندلس، حيث كانت ولاية تابعة للمغرب وظهرت العزلة بين فئات المجتمع الأندلسي وبين المرابطين المستأثرين بالحكم، وتتنوع محتويات الوصايا التي كان يكتبها ابن أبي الخصال، حيث كان يكتبها على لسان أصدقائه من ذوي الشأن، وإن كانت كلها تتصل بأزمات اجتماعية بعضها يأخذ طابعا فرديا، وبعضها الآخر يأخذ صفة الطابع الجماعي، ونذكر نموذجا لإحدى الرسائل التي كتبها ابن أبي الخصال يتوسط فيها لرجل جاء فيها: "هذا الشهر أيدك الله موسم الحسنات، ومطلع مبارك الدعوات، فالإجابة فيه قريبة، ومضان القبول فيه فسيحة رحبية، وكلنا - أعزك الله - في الدنيا معتمل، ولتكاليفها محتمل، فهل لك في مسرة باك، وتوجيه عمل زاك، وحمل رجل حطه الإملاقوأقعدھا لإخفاق، وتدارك رمق خافت، وطرف باهت، نعم! حامل هذه الرقعة - حبره الله - له أطفال لا يجد لهم نواق، قدموا إليها عنقا وأحداقا، وها هو قد بلح، والدهر في معناه قد جلع، وله نبل ومعه عقل، وورغبتني له - ولا يسع الوقت لغير ذلك - أن يكون للفأر أكيا لا وفي إحدى الأرجاء وكيا لا، فيقترب من الحنطة ويمسي ويصبح في غبطة، ويهيل في جرابه ويأتي الرزق من بابه فإن رأيت أن تبرم قضيته وتنفيذ وصيته، قدمت إلى - الله سبحانه - عملا تفتح له أبواب الثواب ويرتقي في الأسباب إن شاء الله".¹

الرسالة هذه قطعة أدبية في الدعوة إلى التكفل بهذا الرجل، وفيها ما يناسب هذا المقام من استعطاف لصاحب العمل، واستثارة الخير لهذا الرجل وأولاده لجبر الجوع والحاجة وهذا يؤكد

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 87، 88.

على مهارة وحذق ابن أبي الخصال وأمانته، وهذا يظهر في شائكة الرسائل التي كتبها في الوصايا والشفاعة، حيث زينها بأسلوب السجع والألفاظ الدالة على الحاجة والجوع والدعوة إلى الخير من أجل جلب المنفعة لهذا الرجل.

ولابن أبي الخصال مجموعة من رسائل التوصية والشفاعة، تبدو فريدة في ظاهرها ولكنها تمس بعض المشكلات الاجتماعية العامة. فمن ذلك رسالة كتبها إلناحد الفقهاء من أجل مساعدة مؤذن، يدعى أباسحاق، وعند النظر في هذه الرسالة نجد الكاتب يربط فيها بين المشكلة الفردية - أي ما يعانیه الشخص من ضيق في الرزق - وبين أحوال فئة المؤذنين عامة، ومما جاء فيها: "المؤذنون - أدام الله نصرک - قد ورد فيهم الأثر المروى، والخبر الواضح الجلي، وهم وإن كانوا في الأخرى بأطول الناس أعناقاً، فهم في الدنيا أضيق الناس أرزاقاً، وأضعفهم إماء وأرماقا، مآكلهم رشح، وشرابهم في الشهامة والنهامة نسح، ونومهم غرار وليلهم حراك، وليل الناس سكون وقرار..."¹

ثم ينتقل الكاتب من الوصف العام لأحوال المؤذنين إلى الموضوع الرئيسي، وهو وصف حال المؤذن أباسحاق فيقول: "والمؤذن أباسحاق مؤيها - سلمه الله - مختص في هذه الفضيلة بسمات مشهورة، وأصوات مذكرة ونغمات كنغمات أبي محذورة... فلولا عدمه لما سمعت قدمه، ولولا أمعاؤه لما طال نداءه ودعاؤه، وقد تقدم نحوك لفح الهجير والقي بيد المستغيث المستجير، ولغيره زكاة جمال وجمال، وله غضلة جاه أو مال ووراءه عيال وأم عيال لازلت تجبر مهضيا، وتعتقد في أعناق الرجال النعم بيضا بحول الله."²

لقد احتوت الرسالة العديد من الوصايا على شكل جمل قصيرة وسريعة تشبه ما يعرف في وقتنا الحالي ببطاقات التوصية والوساطة التي ترفع إلى المسؤولين والحكام ذوي الشأن لانجاز أمور من الأمور، ونذكر على سبيل المثال تلك الرسالة التي بعث بها ابن أبي الخصال إلناحد الأشخاص من الذين يتولون الجباية - تقدير الضرائب - يتشفع فيها لأحد من الأشخاص الذين أصابهم ضرر من الضرائب، ولقد جاءت الرسالة على هذا النحو "أعلمت - أطال الله بقاءك - أن العمل الحشيب يصقل والنسخة السوداء تنقل والله يمحو ما يشاء ويثبت، وأعوذبه من شفاعة لا تثمر ولا تثبت. وقد علمت أن الزيادة على فلان إنما كانت ضررا، توردا نارا، وترحل جانبها

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 89.

² فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 90.

بخزية وترك عار، فتأمر فيها بما تراه سدد وسلاحا لا يجر فسادا، فمن الزيادة على علمك ما يجلب نقصا، وقد يعود تناهي النفقات كسادا وبخسا، وحسبي بهذه الحروف عند إيجابك المعروف إن شاء الله".¹

لقد اكتسبت الرسالة طابعا اجتماعيا يتمثل في الوساطة، بحيث عمد ابن أبي الخصال إلى نقل شكوى هذا الرجل وما يعانیه من كثرة الضرائب، لهذا احتوت على الخطاب المباشر. ومن ذلك أيضا ما كتب به إلناحد الرؤساء يتوسط لرجل لكي يلحقه بديوانه استفادة بما لديه من خبرة عسكرية قديمة وقد جاء في هذه البطاقة " مؤديه أبو فلان-سلمه الله - وهو من قوم يمتون بحرمك، ويدلون بسالف انقطاع وخدمة، وأحب التشرف بديوانه، والمثول بإيوانه، والتميز ليشيعه الواردين موارد إحسان، وإن كانت الحرب هناك قد وضعت أوزارها، فعهد الكفرة إلى انتكاث، وشرهم وكيدهم إلى انبعاث، والحازم مثله -أيده الله - لا يغتر بموادعة في طيها إدراك وسكون تحته حراك، ولاين فلان -أبقاه الله- نفس حرة، ومواقف في الأعداء مرة. والله يظهر أولياءه، وينصر لواءه، ويكتب أعداءه بجموده ومجده".²

لقد احتوت هذه الرسالة أمرا اجتماعيا، طلب فيه ابن أبي الخصال التوسط لرجل ولهذا فقد ألحق رسالته بأسلوب الخطاب المباشر، إضافة إلى كثرة الاعتراض والجمل القصيرة، من أجل التأكيد على حصوله، ومن الطريف أننا نجد في ترسله مجموعة من بطاقات التوصية التي زود بها بعض ذوي الحاجات دون أن يوجهها إلى شخص بعينه فيما يندرج تحت موضوع الشفاعة العامة، ومن ذلك بطاقة في تحقيق الوجيبة لإحدى المعوزين، وقد جاء فيها: "سيدي الأعظم، وعتاد الأنفس الأكرم، ومصاد الأعظم، لازلت أحمي الجوانب والذمم.

الشفاعات -أدام الله عزك- تتشعب، والفروض النادرة تثقل وتصعب، ومؤديه -سلمه الله- توجهت له إلى عناية وترتبت فيه رعاية، والرغبة أن تيسرت في تخفيف حظه من هذه الوجيبة والكلفة الشاملة القريبة، والله يوجدك إلى ما في نفسك من الإجمال سبيلا ولا يعدمك صنعا حسنا جميلا، بعزته".³

لقد تميز أسلوب ابن أبي الخصال في رسائل الشفاعات بتناوله لموضوع الطبقة العامة، استعمل فيها الأسلوب المباشر كما انتقى فيها عبارات التوصية إضافة إلى ابتعاد الرسالة عن

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 91.

² فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 91.

³ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 91.

الإقتباس والتضمين، ولقد كثر هذا النوع في رسائل ابن أبي الخصال، حيث أنه كتب رسالة ينتشف فيها لإنسان يريد أن يجمع له ما يسد حاجته "أثناء موسم جني الثمار الصيفية" جاء فيها: "يا سادتي وأوليائي، وأحبتني وأصفيائي: أعزكم الله وأبقاكم وحرسكم وتولاكم، الصيفية - أكرمكم الله - موسم التقاط ومعلم استظهار على القوت واحتياط وإن كانت الذرة على دقة جسمها، وقلت جرمها، تقبل وتدبر وتدخر، ويتعرض لحطم الظلف، والحافز والخفي، فالإنسان في سعة حواياه، وانفساح أركانه وزواياه، وشهوته الملتهبة ومعدته الملتهمة، أولب بالإعداد من ادخار الزاد، وفلان قد نظم مآثركم، وسرد مفاخركم، وأجاد أمداحكم، وانتجع سماحكم، وهو يرجع إلى العيال، ويصبح على اختلال، وأنتم بكرم فعالكم، وعادة أجمالكم، تنتبهون إلى مواساته، وتسدون من خلته، إن شاء الله".¹

إن ترسل ابن أبي الخصال عبارة عن خطبة يشكو فيها حالة هذا الرجل، يطمع في مساعدته والتشفع له مما يشير إلأن الرسالة في العهد المرابطي قد اكتست بدور اجتماعي بارز، وتلك مسألة هامة قد أكدتها جل رسائل ابن أبي الخصال في هذا الجانب، ومهما يكن فإن رسائل ابن أبي الخصال صادقة الدلالة، توحى بإسهام العامة في بناء الحياة الاجتماعية وتكافلهم غير أن الرسالة خصت ما يعانيه الرجل من فقر وحاجة وقد ترك وراءه أطفالا صغار، ولهذا فإن الرسائل الاجتماعية قد كشفت عن جوانب اجتماعية هامة في عصر المرابطين فهي تشير إلى وجود طبقتين بارزتين في المجتمع الأندلسي، إحداهما طبقة الأغنياء التي تستأثر بالمال والأخرى طبقة العامة وهم الذين يعانون الفاقة.

وكما أسلفنا إلأن ابن أبي الخصال كان من خلال رسائله يضطلع في تقديم يد العون والمساعدة لذوي الحاجة، مستثمرا في ذلك مكانته، وما كان يتمتع به من صلات اجتماعية واسعة ولهذا جمع بين السلوك العلمي (الرسالة) وشخصيته المثالية، وقد تميزت الرسالة الاجتماعية بالقصر والخلو من المقدمات، والميل إلى الوضوح والمباشرة.

6:الزرزوريات:

الزرزوريات ضرب من الرسائل التي ظهرت في النثر الأندلسي في عصر الكاتب، واستوحاها الكاتب من لقب لشخص كان يعرف "بالزرزير"، كان يحترف الكدية ويستجدي الأعيان، حيث وجد الكاتب تشابها في الأوصاف والصفات بينه وبين طائر الزرزور

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص92.

فريطوا بينهما وخلعوا عليه صفاته، فكانوا يكتبون برسائل تنحو منحى الفكاهة والسخرية، ويعد أبو الحسين ابن السراج أول كاتب يعالج هذا الموضوع، حين كتب رسالة لأهل عصره يشفع فيها لرجل يعرف بالزرزير¹.

أما من حيث الشكل فقد اقتربت زرزوريات ابن أبي الخصال من شكل الخطبة حيث أعطاه بعض ملامحها وخصائصها كاستهلاله بالتحميدات والأدعية، وقد شارك ابن أبي الخصال في هذا الموضوع بثلاثة رسائل أوضح فيها طبيعة الموضوع شكلا ومضمونا. وقد استهل رسالته الأولى من الزرزوريات بقوله: " الحمد لله ذي الحكمة البالغة والنعمة السابغة الذي اعتمدنا بالإحسان، وأنشأنا من نفس واحدة إنشاء"²، أما رسالته الثانية في هذا الموضوع فقد اكتست بطابع السخرية والفكاهة إضافة إلى ولوج الأدعية فيها بشكل لافت ومن ذلك قوله " الحمد لله خالق الحياة والموت، السامع لكل صوت، الذي لا يعجل مخافة فوت، ذي العطاء الاسنى والأسماء الحسنى والصفات العلا، التي تبيد ولا تفنى"³. أما رسالته الزرزورية الثالثة فقد استهلها بقوله (الحمد لله الذي صدرت عن حكمته الأشياء وقامت بأمرها الأرض والسماء وبيده الفضل يؤتية من يشاء)⁴.

تطول مقدمات رسائل الزرزوريات عند ابن أبي الخصال ويكثر فيها التضمين من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تتناسب مع الموضوع الذي يعالجه ولذلك جاءت هذه المقدمات بمثابة تمهيد للموضوع.

وقد اقترب ابن أبي الخصال بزرزورياته من روح المقامة، حيث تحول بالموضوع فأصبح المتحدث فيه هو الزرزور نفسه وليس شخص يحتاج الشفاعة والتوصية. إذا كان أغلب كتاب النثر الأندلسي قد توجهوا بزرزورياتهم نحو موضوع الشفاعة والتوصية، فإن ابن الخصال وسع دائرة الموضوع، فعالج في كل رسالة من زرزورياته موضوعا مستقلا، فكتب الرسالة الأولى منها في المصاهرة والرسالة الثانية في المزوجة، ويمزج ابن أبي الخصال في رسائله الزرزورية بين النثر والشعر فهو قريب من شكل المقامة: " حيث جعل الزرزور صورة من صور بطل المقامات وحوله من كونه مجرد شخصية ثانوية يوجهها الكاتب كيفما يشاء إلى بطل يصنع الحدث ويوجهه فأصبح المتحدث حيث يتكلم الناس عن توبته

¹ ينظر: عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص 259.

² فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 98.

³ فوزي سعد عيسى المرجع نفسه، ص 96.

⁴ فوزي سعد عيسى المرجع نفسه، ص 97.

أويشير إلى السخاء من أجله وينال نقودهم عن طريق الوعض وهي صورة لبطل المقامة وهو أيضا يمزج بين النثر والشعر في نطاق واحد معلنا عن مهاراته".¹

أما من حيث الموضوع فقد خرج ابن أبي الخصال على تلك الدائرة التي حولها معاصروه، حيث وقفوا في أغلب رسائلهم الزرزورية عند موضوع الشفاعة، فنراه يطوع زرزورياته - لموضوعات أخرى مختلفة حتى تتباين الموضوعات في رسائله الثلاث تباينا واضحا، وعلى هذا النحو ينطلق ابن أبي الخصال في رسائله الزرزورية لإبراز ظاهرة الكدية.

غير أن صورة الزرزور "تختلف في رسائله اختلافا واضحا عن صورته في الرسائل الأخرى، فهو ليس شخص مكديا يستعطف الناس ويشيرهم ويدعوهم إلى المن عليه ولكنه هو شخص ينطوي على نفسه حب الخير ويشارك الناس أفراحهم، وهذه الصورة أقرب إلى صورة ابن أبي الخصال، وهذا ما نلمحه في زرزورياته حيث تحول الزرزور من شخصية خارجية تفصل واقع الكاتب إلى أخرى تجسد صورته، وتعبير عن روحه ومزاجه الخاص".²

لقد استطاعت الرسائل الزرزورية أن تنقل لنا بعض مظاهر البيئة الأندلسية من كونها نقلت لنا موضوعات محلية تتصل بالواقع الأندلسي، وهو ما نفتقده في الكثير من الرسائل النثرية.

¹ فوزي سعد عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص 98.

² فوزي سعد عيسى المرجع نفسه، ص 100، 101.

الفصل الثاني:

دراسة فنية وأسلوبية لرسائل أبوعبد الله بن أبي الخصال

أولاً: الخصائص الفنية لترسل ابن أبي الخصال

1. : هيكل الرسالة
2. : اللغة
3. الأسلوب
4. الصورة الشعرية : كناية - استعارة - تشبيه
5. الصورة البديعية : أ-الطباق
ب-الجناس
ج-السجع
د-الاقتباس والتضمين : -التضمين
-الاقتباس
6. الإيقاع الداخلي : - الإطناب

ثانياً: الدراسة الأسلوبية لرسائل أبو عبد الله بن أبي الخصال

إن الغاية من اكتشاف جماليات العمل الأدبي لا تقف عند الجوانب الأسلوبية فقط، بل تكتمل جمالياتالنص من خلال الكشف عن أهم العوامل الفنية التي شاركت في إثراء التجربة النثرية لابن أبي الخصال، لذلك عمد الكاتب إلى الاستعانة بأساليب مختلفة داخل النص النثري، ووظفها بطرق فنية جميلة، تمكنه من إيصال الفكرة للمتلقي، معتمداً في ذلك على لغة شعرية واضحة وبسيطة، وكما أن أي عمل نثري لا يخلو من الصور الفنية التي يلجأ الناثر إليها لتجسيد تجربته النثرية والكتابية التي يعيشها، والتي تجعل النص النثري يموج في نغم رائع يزيد من جمال التجربة ويرفع من قيمتها.

وانطلاقاً من هذا سنتناول أهم الجوانب الفنية التي ميزت تجربة ابن أبي الخصال بدءاً بدراسة هيكل الرسالة ثم اللغة والأسلوب، إضافة إلى دراسة الصورة الشعرية بأنواعها مع الإحالة إلى بعض الصور البديعية وانتهاءً بالإيقاع الداخلي وما يحتويه.

1- هيكل الرسالة:

لقد جرت العادة لدى معظم الدارسين على تقسيم رسائلهم إلى نوعين هما الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية، وإن هذين النوعين من الرسائل يكتب وفق طريقة معينة تقوم على ثلاثة عناصر أساسية هي:

المقدمة والتي تشمل في معظمها على البسمة، ثم احتوائها على العنوان الذي عينه المرسل والمرسل إليه، ثم ينتقل بعدهما الكاتب إلى غرض آخر وهو الموضوع الأساسي في الرسالة (والملاحظ أن هذه المقدمة لم تكتف بالعنصرين اللذين اكتفت بهما معظم الرسائل وهما البسمة والعنوان، وإنما لمّح معظم الكتاب إلى غرض الرسالة في أول العنوان تاركين معظم مقدمات رسائلهم، غير أن بعض الكتاب قد يتخلون عن عنصر العنوان ويكتفون بالبسمة لينتقل بعدها إلى الغرض مباشرة بقوله أما بعد، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى استقرار قواعد الكتابة في الأندلس آنذاك مما يتيح للكاتب حرية التصرف في الزيادة أو الحذف)¹.

¹الربيعي بن سلامة، الأدب المغربي والأندلسي بين التأسيس والتأصيل والتجديد، ص166، 1967.

إذا كانت هذه بعض ملامح المقدمات في المرحلة الأولى التي أبرزت طريقة كتاب الأندلس حتى القرن الخامس، غير أنه يمكن أن نستخلص عدة نماذج وقواعد نظرية ضمنها رسائل ابن أبي الخصال، وعليه فإن العناصر التي يجب أو يستحسن أن تتكون منها مقدمة الرسالة هي كالتالي (العنوان وفيه يتم تعيين المرسل والمرسل إليه، وأبسط صيغة أن يقال من فلان إلى فلان، ثم تأتي البسمة أو الاستفتاح بقوله: بسم الله الرحمان الرحيم وتكتب بعد العنوان ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت تأتي بصيغة مختلفة ولكنها أصبحت من العناصر التي لا يخلو منها كتاب "رسالة"، وإن هذه العناصر هي العناصر المكونة لغرض الرسالة، وبعدها ينتقل الكاتب إلى الموضوع الرئيسي باستعمال أما بعد أو بالسلام أو غيرهما)¹، غير أن بعض الكتاب وخاصة الأندلسيين منهم لم ينفذوا بهذا الترتيب، وإنما تركوا لأنفسهم الحرية في التقديم والتأخير والحذف والزيادة كما كان يفعل من سبقهم. (ومن أول الأمثلة لدينا في هذا الباب رسالة كتبها ابن أبي الخصال على لسان يوسف بن تاشفين)².

أما إذا كانت الرسالة رسالة ديوانية، فإن ترتيب المرسل بالنسبة للمرسل إليه يكون في العنوان حيث يتوقف عن حالة الملك المرسل ونوعية علاقته بالمرسل إليه، كما يتوقف على موضوع الرسالة نفسها، فإذا كانت الرسالة تتضمن المصادقة على معاهدة أو تعازي أو شكوى فإنها تلتزم صيغ عديدة يتقدم فيها اسم المرسل على اسم المرسل إليه، أما إذا تضمنت الرسالة شأنًا من شؤون الحياة العامة كتأكيد الوفاء بالمعاهدات أو لفت انتباه الدولة إلى بعض التجاوزات التي يرتكبها رعاياها ضد مواطني الدولة (وهذا ما نجده في مجمل الرسائل الإخوانية التي كتبها ابن أبي الخصال على لسان يوسف بن تاشفين)³.

أما فيما يخص الخاتمة فإنه يوجد بعض الرسائل لا يعلن الكاتب فيها عن انتهائها، وإنما يتوقف بطريقة مفاجئة لا ينتظرها القارئ أو المتلقي، وكأن الكاتب يريد أن يترك رسالته مفتوحة، وبهذا النمط انتهت رسائل مجمل كتاب الأندلس (مثل الرسالة التي كتبها عبد الله بن الألفطس في الرد على الملك ألفونسو، كما لا ننسى أيضا الرسالة التي كتبها ابن أبي الخصال إلى يوسف بن تاشفين يعرض فيها أهل الأندلس ويدعوهم فيها إلى الامتناع والتحرك لإنقاذ الأندلس، وقد

¹الربيعي بن سلامة، الأدب المغربي والأندلسي بين التأسيس والتأصيل والتجديد، ص 168.

² ينظر: الربيعي بن سلامة، المرجع نفسه، ص 170.

³الربيعي بن سلامة، المرجع نفسه، ص 171.

تكررت مثل هذه الخواتم في العديد من الرسائل التي كتبها وزراء بني الأحمر وأمراء أرغون ومنها الرسالة التي وجهها رضوان بن عبد الله وزير السلطان يوسف إلى آفونسو، ورسالة ابن أبي الخصال في تعزيتته لأحد الأمراء)¹.

لقد كانت هذه أهم المكونات التي تكونت منها الرسالة، لأن كتاب الأندلس كانوا يحتفظون لأنفسهم بكثير من الحرية للتحرك ضمن هذه الأطر، غير أن معظم كتابها (جعلوها في قالب واحد يمشي عليه مجمل الكتاب، غير أن هناك بعض الكتاب في طريقة كتابتهم لا يتناسبون مع خصوصية المرسل إليه ولا تتعارض طرق كتابتهم مع غرض الرسالة وإنما جروا فيها التقديم والتأخير على حسب طبيعتهم)².

2- اللغة:

وإذا أتينا إلى دراسة لغة ابن أبي الخصال نجد لها لغة سهلة بسيطة واضحة من كون ابن أبي الخصال قد قرأ علوم اللغة على كبار علماء عصره فضلا عن تلقيه للقرآن حفظا وتفسيرا وفقها، قد هيا له ثقافة لغوية عالية وقد أشار إلى ذلك بقوله في إحدى رسائله (وما امتطيت من المشقة ما امتطيت وما تخطيت من الأئمة ما تخطيت)³.

والواقع أن من يقرأ رسائل ابن أبي الخصال يجد نفسه (إزاء كاتب قد تمرس باللغة ووثق صلته بها، فامتلك ناصيتها، ووفق على ذخائرها وأسرارها واضحي يصرفها كيفما شاء)⁴. كما يخيل إلينا أنه لا يوجد من بين كتاب الأندلس من يضاهاه ابن أبي الخصال في اتساع قاموسه اللغوي وفي ثراء محصله، كما أن مجمل الألفاظ التي استخدمها في رسائله تشكل معجما لغويا لا يستهان به، وتكاد رسالة من رسائله تخلو من ألفاظ معجمية، ولنا مثلا رسالة كتبها في تهنئة عامل في ولايته جاء فيها من الألفاظ: (المصاد، الخطام، الكعام، القتاد)⁵، وتكثر هذه الألفاظ في الرسائل الإخوانية ومن أمثلة ما كتب في الرسائل الإخوانية قوله: (فإني تركتك بعدي على أوفار وآنافي حوار والرأي شعاع والأمل قطوف ووساع، وقد مكنه محصله اللغوي هذا من بسط معاينة في طواعية حيث اختار الألفاظ المناسبة المؤدية للمعنى ووضعها

¹ الربيعي بن سلامة، الأدب المغربي والأندلسي بين التأسيس والتأصيل والتجديد، ص 178.

² الربيعي بن سلامة، المرجع نفسه، ص 178.

³ فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص 221.

⁴ فوزي عيسى المرجع نفسه، ص 22.1.

⁵ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 185.

في موضعها الصحيح، وإن كان الإكثار من هذه الألفاظ قد افطى على أسلوبه شيئاً من الغموض لبعده ذهن القارئ عنها).

2- الأسلوب

إذا كان الأسلوب هو الطريقة التي يعتمد عليها الكاتب في إنشاء رسائله وأشعاره، فإن الأسلوب يعد وجه الكاتب وعموده ولهذا فإن أسلوب ابن أبي الخصال جاء مزوجاً بين الخبر والإنشاء، حيث استعمل هذين الأسلوبين بقيمة كل منهما في إبراز معناه (فهو يستخدم الخبري إذا كانت الفكرة التي يعالجها تحتاج إلى تأكيد، ثم يزوج بينه وبين الأسلوب الإنشائي بضروب مختلفة من أمر ونهي، ونداء واستفهام وتعجب).¹

وتعد معظم رسائل ابن أبي الخصال رسائل ذات طابع إنشائي، وما جاء في قوله من ذلك: (وقد كان الرأي عندي ولا دفع للمقدور، ولا رد لفائدتي الأمور، إلا تورى ولا تصلد، ولا تصدر، ولا ترد، وبين هذين الطرفين للحزم مجال وللرأي رؤية وارتجال، لكن فيما الكلام؟، وعلى أي الأمرين الملام؟).²

ومن الواضح أن الأسلوب الإنشائي قد طغى في معظم رسائل ابن أبي الخصال على الأسلوب الخبري وتلك خاصية بارزة في نثره عموماً، فلقد جعل الأسلوب الإنشائي عمود رسائله لأنها أقوى من الأسلوب الخبري في إحداث التأثير النفسي لدى المتلقي، حيث نجد فقرة كاملة فيها جميع ضروب الإنشاء ومن ذلك قوله في آخر رسائله قوله: (فهنيئاً لك أيتها العقيلة، بأوبة، وطأتها على البطل وأهله ثقيلة، فاسلك أيامك ذلاً واحتذى مرفق الحق سبيلاً واختال في حسن البزة وجرى أذيال الغزة، وأبلى واخلق دهرًا جديداً، واقترح مزيداً).³

نلاحظ في نثر ابن أبي الخصال عموماً روحه الشعرية، فهو يقترب من روح الشعر في مواطن عديدة من رسائله حتى يخيل إلينا ونحن نقرأها أننا نقرأ شعراً لا نثراً، فقد مزج ابن أبي الخصال في كثير من رسائله الشعر والأخيلة والموسيقى، وجعلها من روحه الشاعرة، حيث جعلها تبدو وكأنها قصيدة نثرية فمن ذلك قوله في إحدى رسائله الإخوانية: (هنيئاً لك ما استحللت وأهلاً وسهلاً ما استهللت! صدقت، أنا المسيء، والمستقيلاً لفيء، وقت ذمك وصفت

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 188.

² فوزي عيسى، المرجع نفسه، ص 188.

³ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 189.

مواردك وديمك، ما لمن تؤخره استقدام ولا لمن يهون عليه الكرام ولا لمن تخطؤه رضاك وراء ولا أمام!، أقر الكلام ولم أجنبيه، وأرد هذا الماء على أجنه، وأجنب- ولو قطع الوريد- ما أريد لما تريد-¹.

وعليه فإن ابن أبي الخصال قد كتب هذه الرسالة بروح الشاعر لا الناثر، فالشعر يسري في شريانها بلغته العذبة، وألفاظه الرقراقة، وصوره النابضة، وإحالاته وأنغامه الصادحة، بل إن بعض عباراتها تتوافق مع الوزن الشعري كقوله: (أقر الكلام ولم أجنه)²، فهي لو كتبناها في الشعر لكانت نصف بيت من البحر المتقارب، ولو أننا كتبنا هذه الرسالة على نمط ما يكتب به الشعر، لظن القارئ أنها قصيدة نثرية كتبها شاعر لا ناثر.

4- الصورة الشعرية

تعد الصورة الشعرية أحد مقومات النص وأحد ركائز علم البلاغة بحيث لا يوجد نص خال من الصورة الشعرية لأنها تعتبر جزءا هاما منه. فلهذا يجب على الشاعر والناثر على حد سواء الإلمام بها، وتوظيفها توظيفا مناسباً مما يخدم ألفاظه ومعانيه، بحيث يجد القارئ متعة في تذوقها، فهي تكسب النص الأدبي صورا حسية ومعنوية ذات طابع ايجابي، فلهذا اعتنى بها البلاغيون والنقاد منذ القدم، فراحوا يعرفونها ويبرزون أنواعها ومضامينها، وتنقسم الصورة الشعرية إلى صور عديدة، ومن بين الصور الأساسية فيها هي الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز.

1- الكناية:

تعد الكناية أحد أضرب علم البلاغة و أحد مقومات علم البيان، فيعرفها الجرجاني بقوله: (هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى وهو تاليه ورديفه في الوجود فيؤدي إليه ويجعله دليلا عليه)³. وقد كثرت الكناية في نثر ابن أبي الخصال، حيث جاءت في أسلوب ونمط عال على موضوع الرسالة التي كتبها ابن أبي الخصال، ومن بين أهم صور الكناية قوله وهو يمدح أحد

¹ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 189.

² فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلس، ص 225.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار صادر، بيروت، لبنان، [د ط]، [د ت]، ص 40.

أصدقائه من الكتاب: (أشرفت مطالعك)¹ وهي كناية على علو مرتبة هذا الكاتب عند ابن أبي الخصال ورفعت منزلته، وقوله أيضا: (حين أنصلت اسننت الأفلام)² ووضعت أوزار الكلام وهي كناية أراد بها ابن أبي الخصال أن يمدح طريقة كتابة هذا الكاتب وشهرتها وفصاحتها وبلاغتها .

ومن بين أهم الكنايات الواردة في رسائل ابن أبي الخصال تلك التي جاءت في رسالته التي وجهها إلى القاضي الفقيه أبي بكر ابن العربي قوله: (لا يُخْفَرُ لديه الذمام ولا تبلى جده وده الأيام) هذه كناية عن المناقب الكبيرة التي يتميز بها ابن العربي ومآثره وأخلاقه ومروءته وشهامته وعدله في القضاء.

2- الاستعارة

كما لا يخلو أي أدب ظهر في البيئة الأندلسية من الإبداع والتنسيق والتجميل كذلك رسائل ابن أبي الخصال، فإن الدارس لها يجد نفسه داخل بحر من المحسنات البديعية وجميل الصور البيانية، فالاستعارة قد أخذت من مدد قلمه الشيء الكثير وسنذكر بعضها فيما يلي: (فإن أدبك اليانع)³ حذف المشبه به وهو الثمار وأتى بأحد لوازمه وهي الينوع (النضج) وألزمها المشبه على سبيل الاستعارة المكنية.

(ألقى عصا الحاضر المقيم)⁴ حذف المشبه به وهو الشيخ الكبير وأتى بأحد لوازم وهو العصى وألزمها بالمشبه على سبيل الاستعارة المكنية.

(أحرقتهم الخطوب)⁵ . حيث شبه الخطوب بالنار وحذف المشبه به وأتى بأحد لوازمه وهو الإحراق على سبيل الاستعارة المكنية .

(وتنافس فيه الأنفاس نشقا)⁶ . حيث حذف المشبه به وهو الإنسان وأتى بأحد لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 112.

² فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 112.

³ فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص 124.

⁴ فوزي عيسى، المرجع نفسه، ص 163.

⁵ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 124.

⁶ فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص 184.

(أن دهرًا لبس رونق بهائك)¹. حيث شبه الدهر بالإنسان وحذف المشبه به وأتى بأحد لوازمه وهي اللبس وألزمها الدهر على سبيل الاستعارة المكنية.

3- التشبيه

التشبيه عنصر أساسي في الشعر والنثر سواء بسواء، وتُبدومهارات الشاعر أو الكاتب من خلال قدرته على إجادة التشبيه وتوظيفه لتكوين الصورة وإبرازها وبث الحياة والحركة فيها. ويعد التشبيه من العناصر البارزة التي يقوم عليها فن ابن أبي الخصال النثري، ولقد تنوعت المناهل التي استقى منها تشبيهاته، وإن كثر وروده على مخزونه الثقافي، فأكثر من التشبيه بالأعلام وأسماء الأماكن، وأسرف في هذه الناحية إسرافًا كبيرًا خرج به إلى التصنع، فهو حين يشيد ببلاغة صديقه الكاتب عبد المجيد بن عبدون وكرمه يقول: (إن قدمك في البلاغة والتجبير لأرسي من ثبير ومن كل جبل أشم كبير، وإنك لأثبت في الإحسان من حسان، ومن آل جفنة في غسان، ومن ربيع في كنانة وحارثة في غداته، ومن زياد في ذبيان، وبسطام في سبيان، ومن شهل في زمان)²

وكثيرًا ما نفع على مثل هذه التشبيهات المتعاقبة في رسائله النثرية، فهو حين يصف اشتياقه إلى صديقه الكاتب أبي الحسين بن سراج يقول: (لا جرم أنني أفقر إليه من جفن إلى كردي، ومن أذن إلى بشري، ومن جذيمة إلى نديم، ومن مصعب إلى إبراهيم، والقارض إلى الإياب، ودريد إلى الشباب، بل من الشمال إلى اليمين، والأنف إلى العين).³

ونرى أن ابن أبي الخصال قد اعتمد كثيرًا على خاصية التشبيه بالأعلام خاصة وأن مجالها في النثر أرحب وأكثر اتساعًا بالقياس إلى الشعر، ونذكر من الأمثلة في نثره، قوله في معرض الإشادة بمآثر والد أحد أصدقائه (فقد كان أبوه-رضوان الله عليه- قريع العصر، أما السؤدد فأسيلم بن الأحنف، وأما النبل فأبراهيم بن العباس والعباس بن الأحنف وإن له في العصامي لقلائد معجزات وبدائع آيات أربت على بدائع ابن العباس في ابن الزيات).⁴ وتتردد في نثر ابن أبي الخصال بعض التشبيهات التي كثر دورانها في الشعر القديم، كتشبيه السيقان بالكثبان أو العكس مما يتمثل في قول: (فنزلنا على الاكوار نتدافع ونتداری، في

¹ فوزي سعد عيسى، المرجع السابق، ص 133.

² فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 174، 175.

³ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 174.

⁴ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه ص 175.

رمل كاوارك العذارى)¹، ولا شك أن الطبيعة الساحرة في الأندلس قد أمدته بزاد كبير من التشبيهات والصور، فهو حين يشير إلى نقاء سريرته يشبهها بجدول المياه الصافي الرقراق الذي يشف عما بداخله وفي ذلك يقول: (ومهما اختلفت سريرة أو كلت بعد مضائها بصيرة، سريرتي كما شفة الغدير الصافي عن الرضراض، وبصيرتي كما خلص السهم المصيب إلى الأغراض).²

وأكثر ابن أبي الخصال من الإحالات الدينية في تشبيهاته، فمن ذلك قوله: وماذا نعيد - أيدك الله- من ذكر نبوة لم ينبو لها حدك، وجفوة لم يتضعع بها مجدك، وما ضرتك إلا كما ضرت الكعبة القليس، ولا آذتك إلا كما أذى عيسى بن مريم عليه السلام إبليس!³ نرى أن ابن أبي الخصال لم يقتصر تشبيهه على الأعلام فقط بل تعداه إلى أن أخذ من التراث الديني وهذا يبين عنكثرة إطلاعه وثروة ثقافته.

¹ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 178.

² فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 178.

³ فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص 223.

5- الصورة البديعية:

إن الصورة البديعية أحد مقومات النص الإبداعي، ومن بين أحد ركائزه الأساسية، وإن توظيفها في النص يزيد من جمالية العمل الأدبي حيث يقوم بتحريك التجربة الشعرية والنثرية على حد سواء، وتتكون الصورة البديعية في مجملها من المحسنات اللفظية أو المعنوي، ويعد الطباق أحد المحسنات اللفظية شيوعاً.

أ-الطباق: عرفه علماء البلاغة بقولهم (وهو الجمع بين المتضادين في الكلام وينقسم إلى قسمين: طباق سلب وطباق إيجاب).¹ وسنقوم باستخراج الأمثلة الدالة على هذا المحسن اللفظي التي وردت في رسالة أبو عبد الله ابن أبي الخصال التي كتبها إلى أهل مالقة. وجاء فيها:

(وقد جمعت الآن بهذه الحضرة عصاب الشاكين وكثرت أرفاع المتظلمين، وكان من أمورهميين ومشكل، وفيهم محق ومبطل، فلم يخل ما كانوا يجيئون به من قول مزور، وباطل في صورة الحق مصور، وعند ما التبس الكذب من ذلك بالصدق، والتفت المبطل بالمحق، صددنا أرفعاهم عن الوصول، وصرفنا دونها وجه القبول، ولما كان هذا وجب أن نلتمس لأموهم وجها يتوصل به إلى معرفة الصحيح من السقيم، والمعوج من القويم، فوكلنا ذلك إلى قضاة البلدان وألزمناهمالقيام به والفحص عنه مع الأحيان، لأن موضوع القضاء إنما هو لرفع المشكلات، وتمييز الحقائق من المتشابهات، والفصل بعد التبرم في الدعاوي والمنازعات...)². ويظهر الطباق في قوله:

الطباق	نوعه
مُحَقٌّ # مُبْطِلٌ	إيجاب
بَيْنٌ # مُشْكَلٌ	إيجاب
بَاطِلٌ # حَقٌّ	إيجاب
الكَذِبُ # الصِّدْقُ	إيجاب
الصَّحِيحُ # السَّقِيمُ	إيجاب
المُعْوَجُ # القَوِيمُ	إيجاب

¹ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، [د ط]، [د ت]، ص 12.

² فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 63.

ب- الجناس

يعد الجناس أحد أضرب علم البلاغة، وأحد أركان علومها الأساسية من كونه ينتمي إلى علم البديع وهو باب من أبوابها، ويعتبر الجناس صيغة بلاغية تزيد النص الأدبي رونقا وجمالا، ولهذا فقد اعتنى به الكتاب في نصهم الشعري من أجل صقل تجربتهم الشعرية أو النثرية على حد سواء، ويعد الكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال من أحد كتاب الأندلس توظيفا لهذا المحسن البديعي، ومما جاء له في هذا المحسن قوله في إحدى الرسائل التي بعث بها إلى أحد أصدقائه من الكتاب حيث اعتنى فيها بجمالية هذا المحسن البديعي ومن ذلك قوله:¹

الجناس	نوعه
نَعَمْ/نِعَمَ	جناس تام
الْبُرُوقُ/الرَّوْقُ	جناس ناقص
طَوَّقٍ / شَوَّقٍ	جناس ناقص
المُقَارِقِ / المَقَارِقِ	جناس تام
أَمِيرًا/ سَمِيرًا	جناس ناقص
الْوَارِعِ/ النَّارِعِ	جناس ناقص
الْيَمَامَةُ/ثُهَامَةُ	جناس ناقص
إِسْنَادُهُ/مَنَادُهُ	جناس ناقص
يُضَاوِلُهُ/يُطَاوِلُهُ	جناس ناقص
جُودِهِ / مَجْدِهِ	جناس ناقص
نَادٍ / وَادٍ	جناس ناقص
عَدَمٍ / نَدَمٍ	جناس ناقص

¹ فوزي سعد عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص 165.

ج- السجع:

الترم ابن أبي الخصال بالسجع في رسائله مجاريا في ذلك الذوق البديعي السائد في عصره، وقد عبر عنه ابن عبد الغفور الكلاعي وهو من معاصريه.

قال " والذي عندي في هذا أن النثر والنظم أخوان كما لا يقدح في النظم تكلف الوزن والقافية، كذلك لا يقدح في النثر تكلف السجع"¹.

وقد تقيد ابن أبي الخصال بالسجع في أواخر الفواصل ولكنه عمد إلى التلون والتنوع لإحداث التأثير الموسيقي المنشود، فأحيانا ينفرد بفاصلتين تتضمنان قافية واحدة " فيما اصطلح عليه البلاغيون بالإزدواج"².

ومما جاء في هذا اللون البديعي قول ابن أبي الخصال في إحدى رسائله: " شك ا مولاي وأميري، المتلبس هواه بقلبي وضميري، متع بالأحباب ولا فجع بالشباب، هما كقدره عاليًا، ودمع في الحوادث غاليا، وقلبا ربما مال به طرب النشواني، وربما أخذته العزة بالسُلوان"³، وقد يتكرر السجع فيأتي مجموعة من الفواصل المتعاقبة كقوله، " وإن كتابه الخطير و افاني، فصيح المعاني، أنيق الألفاظ والمعاني، وثيق المعاهد والمباني، متناسب الفضل الباهر. مستوى البطن والظاهر، فذهبت بشكري حيث تلك الأغراض ذهبت، وأعترفت بكل يد علية بما كتبت".

وقد يبدأ ابن أبي الخصال بفاصلتين متوافقتين ثم يردفها بمجموعة من الفواصل التي يتكرر فيها السجع كقوله، "أهلا بك من عريق سبق وسليل خطي صدق، لشد ما استوليت على مدامك، واستويت إلى سماء منتدك، وتقبلت أباك وطعنت في ثغر النحر عداك، ولع لك من منتم إلى سابق لم يلحقه عثار ولا شق له غبار"⁴.

ويسلك ابن أبي الخصال في تصنعه هذا ضربا بديعيا يتوافق فيه كل سجتين تنتهي بهم الفواصل فيسمى السجع المشكل.

¹ عبد الغفور الكلاعي، أحكام صنعة الكلام، نقلا عن فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 163.

² الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم اللغة، مكتبة المثني، بيروت، لبنان، [د ط]، [د ت]، ص 392.

³ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 173.

⁴ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 174.

ومن ذلك قوله في هذا النوع: "وأما أنا - وما أنا - فقريئة اجتثا ث ورهينة انتكاث، أصل لا انهمر ولا استقل ، وفرع لا أثمر ولا أطل، وخطبان شوبها خطوب، وقضبان ذوبها سلع بالمنية مقطوب، وخذ ترب يخرج بتعبيسه الرغام، وحد ذرب يخرج من خيسه الضرغام، فخرجت الحنضلة من الغمرة، وقطعت بالحجة لسان الهثرة، أو كالغضنفر الرئبال، المزعقر أبي الأشبال، تميز من الحرد وتحيز كسيف الفرد"¹.

الرسالة كلها سارت على نمط واحد حيث نلاحظ تقابل الاسجاع وتجانس الألفاظ، حيث يعد السجع أحد أقوى الفنون البديعية، غير أن ابن أبي الخصال لم يسرف في استخدامهن ولم ينقل به أسلوبه، وإنما أخذه بقدر معين الذي يجعل له الصورة تبدو واضحة، حيث يزيد دقة العبارة ويعطي لها رونقا يتناسب مع ذوق القارئ، ولهذا يعتبر السجع خاصية بارزة في نثر ابن أبي الخصال يوحي لنا بمدى توافق وسمو مرتبة هذا الكاتب بين كتاب الأندلس الذي جعل من السجع وسيلة فنية تخدم أسلوبه الأدبي .

د - الاقتباس والتضمين:

لم ينفرد ابن أبي الخصال بهذه الطريقة بل كانت سمة عامة للنثر الأندلسي في عصره، وإن كان الكتاب قد تفاوتوا في الأخذ بها لاختلاف مواهبهم وثقافتهم غير أن ثقافة ابن أبي الخصال الواسعة جعلته ينفرد بهذه الخاصية على غرار الكتاب الآخرين.

التضمين:

باعتبار ابن أبي الخصال شاعرا ونائرا على حد سواء فإنه كان يضمن معظم رسائله شعرا سواء تحريرا أو تغييرا، وقد استحسنت معظم سكان الأندلس هذه الطريقة، وتعد معظم رسائله الإخوانية رسائل لا تخلو من الشعر وخاصة القديم منه وعلى سبيل المثال نذكر إحدى رسائله التي جاء فيها قوله " فأقسم بالدجن وتفسيره، والد زوعصره، واللاحاظ وما حرس، والألفاظ وما غرس، والغدائر وما أظلت، والبشائر إذا أظلت، والنواسم ومريض طروفها، والمباسم ووميض بروقها، وزروق نطف الحياض، وحديث كقطع الرياض، على مثلها من خمائل أخلت بالنور، وغلائل نشرت في النجد والغور..."².

¹قوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 165

²قوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، 167 ، 168.

ففي هذه القطعة النثرية نجده ينثر أشعارا لخمسة من الشعراء وهم: امرؤ القيس وطرفة وزهير وعنتر وبشار بن برد، فقوله: فأقسم بالدجن وتفسيره مأخوذ من قول طرفة:

وتفسير يوم الدجن معجبٌ: ببهنك تحت الطرف الممدد

قوله: والغدائر وما أظلت مأخوذ من قول امرئ القيس:

غدائره مستشزرات إلى الغلا

وقوله: والمباسم ووميض بروقها مأخوذ من قول عنتر:

فَوَدَدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ شَرِكِ الْمُبْتَسِمِ

- وقوله وزرق نطق الحياض مأخوذ من قول زهير.

فَلَمَّا وَرَدَنَّ الْمَاءَ زَرْقًا جِمَامَهُ وَضَعَنَّ عَصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

- وقوله وحديث كقطع الرياض مأخوذ من قول بشار.

وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثَهَا قَطَعَ الرِّيَاضَ كُسْرَيْنَ زُهْرًا.

ومما جاء في التضمين لأبو عبد الله بن أبي الخصال قوله في إحدى الرسائل: " وتركت العنقاء المغرب، ولما تشببت من ريحها ما تشببت فقلت ليس الحاضر لي ما مشيت،... وترقت خطوب وتوالت شرب، وأنكاد مس الحاضر منها الغوب، ودفن القوافي غمير، وترك عن ميامن وغائقي الذميج الوافية"¹.

تبرز في هذه الرسالة ظاهرة التضمين الواضحة في قول الكاتب " ودفن القوافي غمير، وهو مأخوذ من قول الشاعر الشمزير الحارثي:

بَنِي عَمِنَا لَا تَذْكُرِ الشُّعْرَ بَعْدَمَا دَفَا نُنْمُ بِصَحْرَاءَ الْعَمِيرِ الْقَوَافِي

- كما يظهر في قوله وترك عن ميامن ضمير، الذي أخذ من قول المتنبي

لَعَى تَرَكْنَ ضُمِيرًا عَنْ مَنْ لِيَجِدِنَا بِمَنْ وَدَعْنَهُمْ نَدْمٌ

ويكثر ابن أبي الخصال من ضرب الأمثال بالشعراء ورواية أشعارهم، مما جاء له من التضمين في قوله " ثوب غميد وراها ابن هلال، أبعد من هلال ومشاعر كواكب المجرة فهي

¹ فوزي عيسى، الرسالة الأدبية كفي النثر الأندلسي، ص171.

عناؤه التي أكبرها إن تصاد وآثار على معاندها الاقتصاد رب كريم في العزة مطلول وغريم كغريم عزة مطلول... وحي مكانه الجميل وعلى ذلك فما شكا جفاء، إذا أخلت ولكن بكا وفاء حيث حلت¹ فهو مأخوذ من قول أبي العلاء المعري:

أري العنقاء تكبر أن تُصَادَا فعان من تطيق له عِنَادَا

وقوله أيضا وغريم كغريم عزة مطلول مأخوذ من قول الشاعر كثير عزة.

قضى كل ذي دين فوقى غريمه وعزة مطلول معنى غَرِيمُهَا

كما لا ننسى تضمينه الذي جاء في قوله: وحيأ مكانه الجمل فهو مأخوذ من قول كثير عزة أيضا القائل:

ليت التحية كانت لي فأشكرها مكان (يا جملي) حُييت يا رَجُل .

الاقْتَبَاسُ:

أكثر ابن أبي الخصال في رسائله من الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وهذا يدل على اتساع ثقافته الدينية " و اتسع في ذلك اتساعا كبيرا ح يث بلغ عدد الآيات القرآنية التي تمثل بها في الرسائل التي يضم نها ترسله (186 آية) وعدد الأحاديث (240 حديث)، فكان يطوقها بنصها حتى يستفيد من الأسلوب القرآني فيها ويقدمها كدليل وبرهان، ومما جاء في رسائله من الاقتباس قوله " خفى فما كان يدري كيف يهتدي إليه موته فذل عليه حية البحر صوته... وتركه آية لسائلين"².

ويظهر اقتباسه في هذه الرسالة في قوله وتركته آية لسائلين، وهو مأخوذ من قول الله عز وجل في كتابه العزيز في سورة يوسف (الآية 7): ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلسَّائِلِينَ﴾.

ويكثر الاقتباس في معظم رسائله الإخوانية كقوله: " وألفاظ ليس بها طرق، ولا لها في هذا الغريب غرف، لو مررت بالروضة الغناء، تجلو حسن متبسمها وتضحك ملء فمها... وشجرة تخرج من طور سيناء، وهذي التي تخرج من أصل الجحيم، وتغلى في البطون كغلي

¹ فوزي عيسى، الرسالة الأدبية كفي النثر الأندلسي، ص 174.

² فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 178.

الحميم" ويظهر الاقتباس هنا في قوله التي تخرج من أصل الجحيم وهو مأخوذ من قوله تعالى في سورة الصافات الآية 64 ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ وقوله تغلي في البطون كغلي الحميم، مأخوذ من قوله تعالى في سورة الدخان (الآية 45) ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾¹ ومما يذكر له في إحدى رسائل من اقتباسه من سورة التين، والكتابة على مسلكها، قوله " واستمسك بذلك الحبل المتين، وكن على أحسن تقويم وناهيك بذلك القسم العظيم، أما إن القسم به لجليل، وإن الغوص - أبا بكر - لقليل"¹

فالاقتباس واضح من سورة التين يظهر في قوله وكن على أحسن تقويم، وهو مأخوذ من قوله تعالى في سورة التين الآية 4 ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. وقوله "ناهيك بذلك القسم العظيم مأخوذ من قوله تعالى " وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ " الواقعة 76.

ونجده ينحي منحى آخر في الاقتباس حيث نجده يذكر قصة موسى مع الخضر فينثرها في رسالته التي كتبها لابن عبدون يقول فيها: " وهذا موسى - عليه السلام رفع في العلم إلى نهاية وشيع بأية فتقبل مأتاه، وتحمل بفتاه، وتجهز بحوت في منحوت، فكان شأنه في أبحر عجبا، ونسيانه لذكر سببا... وارتدا على آثارهما قصصا فلما انتحاه الخضر بسرائر من الغيب مشكلات وظواهر للريب محتملات،... ولولا إسراع وهب في تلك الحكم ريبا، وذهل عن شريط الأذكار"²

حيث نلمح قصة موسى مع سيدنا الخضر التي جسدها ابن أبي الخصال في رسالته هذه حيث قام باستخدام الأسلوب القرآني واستخدامه كغرض بدعي ومم يظهر له في الاقتباس قوله " وارتدا على آثارهما قصصا، فهو مأخوذ من قوله الله عز وجل من سورة الكهف (الآية 64): ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾³

ويقتبس ابن أبي الخصال من الأحاديث النبوية الشريفة، ويسلك فيها مسلك الآيات القرآنية فقد يضمن الحديث بنصه أو يقتبسه فينثره في زوايا رسالته حيث يقوم بتوزيع ألفاظه من أجل صياغة كلامه كقوله في إحدى رسائله " المؤمن خامة زرع وذؤابة فرع، تفيؤها الرياح يمينا

¹ فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 179.

² فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 178.

³ فوزي سعد عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص 216.

وشمالاً، وتلين في يديها أذباراً وإقبالا والكافر أرزة مجذية تتحاماها المعرة ثم تكرر عليها كرة فيكون فجاجها مرة¹ فهذا مأخوذ من الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن كعب بن مالك عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: "مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تقيؤها الرياح تصرعها مرة وتعديلها أخرى، حتى يأتيه أجله، ومثل الكافر مثل الأرزة المجذية على أصلها لا يقلها شيء حتى يكون إنجافها مرة".

ومن بين أهم الرسائل التي حملت في طياتها ظاهرة الاقتباس، تلك الرسالة التي كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال على لسان يوسف بن تاشفين إلى عساكره موبخا لهم، جاء فيها "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الكريم وعلى آله وسلم تسليماً، سلام على رجال من المؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وتقرّبوا بالصبر الجميل إليه ونازلوا الاقدان بين يديه... لقد ذهبتم فيها عريضة كالحمير المستنفرة فرت من قسورة.... ليس لكم في التعقب رجاء، ولا منكم دون النار الحامية انتهاء....، ولكن أن لكم مع الجبن الفاضح لقد أقررتم بالفرار....، وهم يرونكم مثليهم رؤية العين... وأضحت النار بدل الجنة لكم ميراث"²

يظهر اقتباس أبو عبد الله بن أبي الخصال في هذه الرسالة في قوله: سلام على رجال من المؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب الآية 23 وقوله أيضاً عريضة كالحمير المستنفرة فرت من قسورة مقتبس من قوله تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ المدثر الآية 50-51 وقوله أيضاً ﴿فَدَكَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِنِ الثَّغَمَاتِ فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ آل عمران الآية 13، وعليه فإن الاقتباس يعد ظاهرة بلاغية وجدة بكثرة في نثر ابن أبي الخصال مما يوحي باتساع ثقافته الأدبية والدينية على حد سواء.

¹ فوزي سعد عيسى، المرجع السابق، ص 180.

² فوزي سعد عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ص 113، 114.

سادسا: الإيقاع الداخلي

الإطناب:

يقوم أسلوب ابن أبي الخصال في جملة على الإطناب، والتوسع في رصف الألفاظ، وبسط المعاني، ووجود هذه الظاهرة في رسائله يرتبط بما ذكرناه عن ثراء لغته وتمكنه من ناصيتها، ومن مظاهر هذا الإطناب: الميل إلى الترادف والتكرار، وتقليب المعنى على وجوه مختلفة والمزاوجة بين الجمل والعبارات، ومن أمثلة ذلك قوله: " لا جرم أنى بعد أن لثمت ثراها، وقدست ورودها وسراها، وقريتها من التعظيم قراها، رمت الترفع في مضارها، والتطلع في أنوارها، بل التلغف بغبارها، والتعلق بأذيال آثارها".¹

إن هذه الظاهرة (التكرار) قد استعملها ابن أبي الخصال كحيلة ليضفي على أسلوبه لونا من الجمال الذي يتمثل في هذا التلوين الصوتي والإيقاعي المتولد من تعاقب الجمل وتوافق فواصلها.

¹ فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص 232.

ثانياً: الدراسة الأسلوبية لرسائل أبو عبد الله بن أبي الخصال أولاً: المستوى الصرفي

يعد المستوى الصرفي أحد أركان الدراسة الأسلوبية، ومن بين أحد مقومات النص الشعري والنثري على حد سواء وتعد المشتقات أعمدة هذا المستوى.
أ- المشتقات:

المشتقات عند الصرفيين سبعة هي " اسم الفاعل، اسم المفعول، صيغة المبالغة، الصفة المشبهة، اسم التفصيل، واسمي الزمان والمكان، واسم الآلة¹ وسنقوم بدراسة المشتقات الواردة في إحدى رسائل ابن أبي الخصال

المشتق	نوعه	وزنه	فعله
خَالِصٌ	اسم فاعل	فَاعِلٌ	خَاصَّ
بَعِيدٌ	صيغة مبالغة	فَعِيلٌ	بَعَدَ
قَرِيبٌ	صيغة مبالغة	فَعِيلٌ	قَرَّبَ
كَفِيلٌ	صيغة مبالغة	فَعِيلٌ	كَفَلَ
إِلَهٌ	اسم فاعل	فِعَالٌ	بَلَّغَهُ
الطَّوْلُ	صفة مشبهة	فَعْلٌ	طَالَ
أَنْفَعٌ	اسم تفضيل	أَفْعَلٌ	نَفَعَ
أَنْجَحٌ	اسم تفضيل	أَفْعَلٌ	نَجَحَ

الملاحظ على الجدول السابق تباين نسبة شيوخ المشتقات وقد خصصنا خمسة من بين السبعة لأن المشتق عند النحاة يعمل عمل الفعل وليست كذلك الثلاثة: " اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة فهي عندهم من الجوامد فلا ترفع الضمير ولا غيره ولا تُعطى حكم المشتقات الأخرى".²

¹ منال بنت سليمان بن مسلم الراددي، المشتقات في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية، مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية تخصص نحو وصرف، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2009، ص 32-33.
² منال بنت سليمان بن مسلم الراددي، المرجع نفسه، ص 33.

كما استعمل اسم الفاعل بكثرة مقارنة بالمشتقات الأخرى لأن الكاتب استعمله لغرض بث روح الحماسة والجهاد في نفوس أهل الأندلس وهذا مناسب لبناء هذا النوع من الرسائل لأن "اسم الفاعل من أقوى العوامل لشبهه بالفعل المضارع".¹

وقد وردت الصفة المشبهة واسم التفضيل بنسب متفاوتة، أما الصفة المشبهة فهي وصف لذات الموصوفة على سبيل الثبوت والاستمرار والدوام.²

كذلك نرى كثرة استعمال صيغة المبالغة وهذا لكونها تدل على التكثير والمبالغة، وهذا ما كان موافقا لطبيعة الموضوع.

ب- الفعل: يعد أحد أبرز أقسام الكلام العربي، إذ يعرفه الزمخشري بقوله "الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان".³

الفعل	من حيث الزمن	من حيث الصحة والاعتلال	مجرد أو مزيد
أَعَزَّ	ماض	صحيح (مضعف مهموز)	مزيد بحرف
كَتَفَ	ماض	صحيح (سالم)	مجرد
وَقَّ	ماض	معتل (مثال مضعف)	مزيد بحرف
حَرَسَ	ماض	صحيح (سالم)	مجرد
يَمَنَّ	ماض	معتل (مضاعف مثال)	مزيد بحرف
قَرَعَ	ماض	صحيح (سالم)	مجرد
أَشْرَعَ	ماض	صحيح (مهموز)	مزيد بحرف
ضَمَّرَ	ماض	صحيح (مضاعف)	مزيد بحرف
اسْتَفْرَعَ	ماض	صحيح (سالم)	مزيد بثلاثة حروف
مَنَّ	ماض	صحيح (سالم)	مجرد
ضَامَ	ماض	معتل (أجوف)	مجرد
نَالَ	ماض	معتل (أجوف)	مجرد

¹وليد عاطف الأنصاري، نظرية العامل في النحو العربي عرضا ونقدا، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، ط2، 2006، ص61.

² سيف الدين طاه الفقراء، المشتقات في العربية، عالم كتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013، ص40.

³الزمخشري، المفصل، دار الجيل، بيروت، لبنان، [د ط]، [د ت]، ص 243.

كَانَ	ماض ناقص	معتل (أجوف)	مجرد
بَالِغٌ	ماض	معتل (أجوف)	مجرد
اسْتَنْهَضَ	ماض	صحيح (سالم)	مزيد بثلاثة حروف
يُرَبِّي	مضارع	معتل (ناقص)	مزيد بحرف
يَعْتَقِدُ	مضارع	صحيح (سالم)	مزيد *****
قُلْ	أمر	صحيح (سالم)	مجرد
يَعْبَأُ	مضارع	صحيح (مهموز)	مزيد بحرف
وَأَفَقَ	ماض	معتل (مثال)	مزيد بحرف
يَمْضِي	مضارع	معتل (ناقص)	مزيد بحرف
يَنْبُو	مضارع	معتل (ناقص)	مزيد بحرف
يَكْبُو	مضارع	معتل (ناقص)	مزيد بحرف
رَأَى	ماض	معتل (ناقص مهموز)	مجرد
يَمْدُ	مضارع	صحيح (مضاعف)	مزيد بحرف
يَقْطَعُ	مضارع	صحيح (سالم)	مزيد بحرف
يَزْفَعُ	مضارع	صحيح (سالم)	مزيد بحرف
وَصَلَ	ماض	معتل (مثال)	مجرد
أَمْتَلُ	أمر	صحيح (سالم)	مزيد بحرفين
أَشِعْ	أمر	معتل (أجوف)	مجرد
يَزْفَعُوا	مضارع	صحيح (سالم)	مزيد بثلاثة حروف
يَجْمَعُوا	مضارع	صحيح (سالم)	مزيد بثلاثة حروف
يَسْتَوْهَبُوا	مضارع	معتل (مثال)	مزيد بخمسة أحرف

يظهر لنا من خلال هذا الجدول تباين نسب أنواع الأفعال وهذا ما سنبيّنه في الجدول التالي:

جدول النسب:

نسبته	نوع الفعل
54.54%	ماض
36.36%	مضارع
9.09 %	أمر

لا شك أن اختلاف البنية يلحقه اختلاف المعنى يقول تمام حسان " والفعل من حيث المبنى الصرفي ماض ومضارع وأمر فهذه الأقسام الثلاثة تختلف من حيث المبنى، وهي فوق ذلك تختلف من حيث المعنى الصرفي الزمني أيضا"¹.

كثُر استعمال الفعل الماضي في رسالة أبو عبد الله بن أبي الخصال قصد تهيئة الجو النفسي لأهل الأندلس، من شحن للعزائم، واستنهاض للهمم وتهيئة للنفوس في قوله: "...) وقد قرعنا الظنابيب وأشرعنا الأنابيب وضمرنا اليعاسيب واستتفرنا البعيد والقريب (...) ومنع جانبه أن يضام أو يناله من عدوه إهتضام، ونحن وإن قد بالغنا في الاحتشاد والاستعداد، واستتهضنا من الأجناد والإمداد .."².

أما المضارع فقد وظفه ابن أبي الخصال مرتبطا بالدعاء لأهل الأندلس ومما جاء في المضارع قوله (...) وإن الدعاء إذا وافق إجابة يمضي حيث ينبو الحديد المضرب، ويكبو العديد المتهيب (...) لأن يمدنا الله بالنصر (...) ويقطع بكل من يريد القطع، ويرفع رأيه في خلافنا (...)"³.

وبالنسبة لفعل الأمر فقد ورد محتثما مقارنة بصيغتي الماضي والمضارع وهذا من أجل تحضيض أهل الأندلس على الامتثال لأمره وتبليغه للخاص والعام. وترجع ندرة فعل الأمر في هذه الرسالة إلى أن ابن أبي الخصال كان واثقا في أهل الأندلس.

¹ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، [د ط]، 1994، ص 104-105.

² فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال، ص 53.

³ فوزي سعد عيسى، المرجع نفسه، ص 60.

ثانياً: المستوى النحوي

يعد ثالث مستويات الدراسة الأسلوبية، وتبرز أهميته من خلال اهتمامه بالتركيب، فهو يتجاوز اللفظة المفردة إلى الاهتمام بالجملة كونها "تركيب مفيد"¹ وهي تنقسم إلى نوعين: اسمية وفعلية.

وقد تنوعت أقسام الجملة في المقطوعة النثرية التي تنتمي إلى ف من الرسالة الجهادية للكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال.

وهذا ما سنحاول إيضاحه في الجدول الآتي:

الجملة	نوعها	مركبة/بسيطة	المسند إليه	المسند
أَعَزَّكُمُ اللهُ	فعلية	بسيطة	الله	أعز
كَفَّفَكُمُ	فعلية	بسيطة	ضمير مستتر تقديره (هو)	كفف
وَفَوَّ حُظُوظَكُمُ	فعلية	بسيطة	ضمير مستتر تقديره (هو)	وفر
حَرَسَهَا اللهُ	فعلية	بسيطة	الله	حرس
يَمِينُ اللهُ	فعلية	بسيطة	الله	يمن
قَرَعْنَا الطَّنَابِيْبَ	فعلية	بسيطة	ضمير متصل	قرع
أَشْرَعْنَا الأَتَابِيْبَ	فعلية	بسيطة	ضمير متصل	أشرع
ضَمَرْنَا اليَعَاسِيْبَ	فعلية	بسيطة	ضمير متصل	ضمر
اسْتَنْفَرْنَا البَعِيْدَ	فعلية	بسيطة	ضمير متصل	استنفر
أَنْ يُضَامَ	فعلية	بسيطة	ضمير مستتر تقديره (هو)	ضام
يَنَالُهُ	فعلية	بسيطة	ضمير مستتر تقديره (هو)	ينال
نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا قَدْ بَالِغْنَا فِي الإِحْتِشَادِ	اسمية	مركبة	نحن	(وإن كنا قد بالغنا) جملة مصدرية في محل رفع خبر نحن والتقدير مبالغون

¹ محمد خليفاتي، الجملة العربية دراسة وصفية تحليلية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص23.

استنهض	ضمير متصل	بسيطة	فعلية	اسْتَنْهَضْنَا
نعتق (م + م إليه)	إنا	مركبة	اسمية	فَأَنَا نَعْتَقِدُ
قل	ضمير مستتر	بسيطة	فعلية	قُلْ
يعبئ	رب	بسيطة	فعلية	مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبٌّ
محذوف تقديره (قائم)	استنفار	بسيطة	اسمية	إِنِ اسْتِنْفَارَ الدُّعَاءَ مِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ
إذا وافق إجابة وافق (م + م إليه)	الدعاء	مركبة	اسمية	وَإِنِ الدُّعَاءَ إِذَا وَافَقَ إِجَابَةً يَمْضِي ...
يمضي	ضمير مستتر تقديره (هو)	بسيطة	فعلية	يَمْضِي
ينبو	ضمير مستتر تقديره (هو)	بسيطة	فعلية	يَنْبُو
يكبو	ضمير مستتر تقديره (هو)	بسيطة	فعلية	يَكْبُو
رأى	ضمير متصل (ن)	بسيطة	فعلية	رَأَيْنَا مُخَاطَبِينَكُمْ
يمد	الله	بسيطة	فعلية	يَمُدُّنَا اللَّهُ
يقطع	ضمير مستتر تقديره (هو)	بسيطة	فعلية	يَقْطَعُ
يرفع	ضمير مستتر تقديره (هو)	بسيطة	فعلية	يَرْفَعُ
وصل	خطابنا	بسيطة	فعلية	وَصَلَ إِلَيْكُمْ خِطَابَنَا
أعز	الله	بسيطة	فعلية	أَعَزَّهُمُ اللَّهُ
امتثل	ضمير متصل (الواو)	بسيطة	فعلية	امْتَثَلُوا
أشيع	ضمير متصل (الواو)	بسيطة	فعلية	أَشْيَعُوهُ
رفع	ضمير متصل (الواو)	بسيطة	فعلية	يَرْفَعُوا
يجمعوا	ضمير متصل (الواو)	بسيطة	فعلية	يَجْمَعُوا
استوهب	ضمير متصل (الواو)	بسيطة	فعلية	سَيَتَوَهَّبُوا اللَّهُ
الكفيل	هو ضمير الشأن	بسيطة	اسمية	هُوَ الْكَفِيلُ
محذوف (تقديره معبود)	إله (اسم لا)	مركبة	اسمية	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

من الجدول السابق تتضح نسبة ورود كلا من الجمل الفعلية والاسمية بتباين واضح نبيته فيما يلي:

الجملة	تواترها	%نسبتها
فعلية	28	75.68%
اسمية	09	24.32%

إن الملاحظ من الجدول أعلاه شيوع الجملة الفعلية، مقارنة بنظيرتها الاسمية مما يدل على أن الكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال أكثر من استعمال الجملة الفعلية من أجل تحفيز أهل الأندلس لخوض الحرب وتركهم متأهين لها، وهذا "موافق لطبيعة الجملة الفعلية الدالة على الحالات الطارئة والأزمة المتجددة"¹.

أما ما يخص الجملة الاسمية فقد وظفها أبو عبد الله بن أبي الخصال من أجل إبراز صفات أهل الأندلس، وهذا ما تحققه دلالة الجمل الاسمية من "إثبات الوصف ودوامه وقوة رسوخه في صاحبه واستقرار حاله واستمراره"².

¹ شكري محمد عبد الله، دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص49.

² شكري محمد عبد الله، المرجع نفسه، ص 59

الخاتمة

الخاتمة

بعد دراستنا لهذا الموضوع نصل إلى أن الرسالة في عهد المرابطين قد امتزجت بطابع سياسي وهذا ما سجله ابن أبي الخصال في مجمل رسائله الديوانية؛ التي كتبها على لسان يوسف بن تاشفين.

كما انقسمت رسائل ابن أبي الخصال إلى نوعين أساسيين هما: الرسائل الإخوانية، التي تضمنت في طياتها مجموعة من المواضيع كالتهادي والتعازي والموعظة والمداعبة والمباشطة، أما الرسالة الديوانية فكانت أهدافها تتجلى في ربط العلاقات بين الرؤساء والملوك في الأندلس. وكذلك نجد نوعين آخرين من فن الرسالة قد كتب فيهما أبو عبد الله بن أبي الخصال على غرار النوعين الآخرين وهما الرسالة الأدبية والرسالة الوصفية.

وتعد معظم رسائل ابن أبي الخصال ذات طابع إنشائي، كما تنتم رسائله بالروح الشعرية وقد ميّز رسائل ابن أبي الخصال غلبة الصورة الشعرية بجميع أنواعها .

و مما يدل على سعت اطلاع ابن أبي الخصال كثرة الاقتباس والتضمين في رسائله كما استعمل ابن أبي الخصال الفعل الماضي في رسائله قصد تهيئة المتلقي لما أراده، وإكثار ابن أبي الخصال من توظيف الجمل الفعلية كان من أجل تحفيز أهل الأندلس.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

أ-المصادر:

1. ابن بسام الشنتري (أبو الحسن علي بن بسام الشنتري)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، تح: إحسان عباس، بيروت، لبنان، [د ط]، 1997، ج3.
2. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم اللغة، مكتبة المبنى، بيروت، لبنان، [د ط]، [د ت]
3. ابن خلدون (عبد الرحمان محمد الحضرمي)، المقدمة، تح: عبد الواحد علي واقف، دار البيان العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1958.
4. الزمخشري، المفصل، دار الجيل، بيروت، لبنان، [د ط]، [د ت].
5. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار صادر، بيروت، لبنان، [د ط]، [د ت].
6. ابن نصر الفتح بن الخاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان)، قلائد العقيان، [د ط]، [د ت].

ب-المراجع

1. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، [د ط]، 1994.
2. حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 2002.
3. عبد الحليم حسين الهروط، الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2013.
4. خالد الحلبيون، فن الرسائل النثرية في العصر العباسي، منشورات الهيئة العامة، دمشق، سوريا، [د ط]، [د ت].

5. الربيعي بن سلامة، الأدب المغربي والأندلسي بين التأسيس والتأصيل والتحديد، دار بهاء الدين، الجزائر، ط1، 2010 .
6. سيف الدين طه الفقراء، المشتقات في العربية، عالم كتب الحديث، إريد، الأردن، ط 1، 2013.
7. شكري محمد عبد الله، دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2009.
8. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر في العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1975.
9. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، [د ط]، [د ت].
10. علي بن محمد، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990 .
11. غالم جواد راضي الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011 .
12. فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، دار بشير، عمان، الأردن، ط1، 1409 هـ، 1989م.
13. فهد خليل زايد، الكتابة فنونها وأفنانها، دار يافا العلمية، الأردن، عمان، ط1، 2009.
14. فوزي سعد عيسى:
أ - الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، [د ط]، 2002.
- ب رسائل ومقامات أندلسية، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، [د ط]، [د ت].
- ج أبو عبد الله بن أبي الخصال، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر، [د ط]، [د ت].
15. محمد خليفاتي، الجملة العربية دراسة وصفية تحليلية، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 2014.

16. مصطفى محمد الفار، داود عطاشة الشوابكة، دراسة أدبية و نقدية في الفنون النثرية، دار الفكر، عمان، الأردن، ط2009،1.
17. وليد عاطف الأنصاري، نظرية العامل في النحو العربي عرضا ونقدا، دار الكتاب الثقافي، أريد، الأردن، ط2، 2006.

ج- المعاجم

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، ط 2، 1972، ج1.
2. ابن منظور (جلال الدين بن مكرم)، لسان العرب، مادة رسل دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج3.

د- الرسائل والأطروحات

1. منال بنت سليمان بن مسلم الراددي، المشتقات في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية، مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية تخصص نحو و صرف، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2009

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
	شكر وعرفان
أ ب	مقدمة
مدخل	
5	أبو عبد الله بن أبي الخصال (حياته شيوخه، ثقافته)
الفصل الأول: فن الرسالة	
8	أولاً: الرسالة بين اللغة والاصطلاح
8	الرسالة لغة
9	الرسالة اصطلاحاً
10	ثانياً: لمحة تاريخية عن فن الرسالة في المشرق
13	ثالثاً: الرسالة في الأندلس
14	1: الرسالة في عهد الولاة
14	2: الرسالة في عهد الإمارة
15	3: الرسالة في عهد الخلافة
19	رابعاً: أنواع الرسالة في الأندلس
21	خامساً: أنواع الرسالة عند ابن أبي الخصال
21	1: الرسالة الإخوانية
24	أ- التهادي
25	ب- التهنئة
26	ج- العتاب
26	د- التعازي
27	2: الرسالة الديوانية
30	رسائل التولية والتعزية
32	3: الرسالة الوصفية
33	4: الرسالة النقدية

35	5:الرسالة الاجتماعية
36	-الوصايا والشفاعة
39	6: الزروريات
الفصل الثاني:دراسة فنية أسلوبية لرسائل عبد الله بن أبي الخصال	
43	هيكل الرسالة
45	اللغة
46	الأسلوب
47	الصورة الشعرية
51	الصورة البديعية
59	الإيقاع الداخلي
60	الدراسة الأسلوبية رسائل أبو عبد الله بن أبي الخصال
60	المستوى الصرفي
64	المستوى النحوي
68	خاتمة
70	قائمة المصادر والمراجع
73	فهرس الموضوعات

ملخص

ظهرت إرهابات فن الرسالة منذ العصر الجاهلي وصولا إلى العصور الأندلسية، ولقد شهدت الرسالة في هذه العصور تطورا كبيرا، ولقد كان أول ديوان يوضع لها في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان، ومن ثم انطلقت انطلاقا كبيرا ففي العصور الأندلسية، كانت مرتبة الكاتب لا يرتقيها إلا الأديب الفذ، ومن بين هؤلاء الكتاب الذين سطع نجمهم في عهد المرابطين الكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال، والذي لقب برئيس كتاب الأندلس، هذا لأنه برع في كتابة الرسائل بأنواعها وموضوعاتها، ومن هنا كان موضوع دراستنا حول رسائله، تحت عنوان فن الرسالة عند ابن أبي الخصال دراسة فنية أسلوبية. ضمن خطة تبدأ بمقدمة فمدخل تناولت فيه لمحة تاريخية عن فن الرسالة من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي ثم ولجت إلى فن الرسالة عند الأندلسيين وصولا إلى عصر الكاتب (المرابطين)، ثم جاء الفصل الثاني بعنوان دراسة فنية أسلوبية لبعض من الرسائل التي كتبها أبو عبد الله بن أبي الخصال ثم جاءت الخاتمة مجموعة من النتائج التي استخلصتها من هذا البحث.

Résumé :

L'art de la lettre a apparu à l'époque avant l'islam jusqu'à l'époque andalouse. Dans cette dernière la lettre a eu une grande révolution et sa première fondation a été en l'époque de Maaoui Ben Soufiame, et de cela elle est démarrer et dans l'époque andalouse le classement de l'écrivain était indispensable et parmi ces écrivain dans l'époque morabistine l'écrivain (**Abo Abdellah Ben AbikHissal**) et qui a été surnommé

Le président des écrivains andalouse et ça parce qu'il a réussi à écrira les lettres, et de cela a été le sujet d'étude sur ces lettres sous le titre l'art de la lettre chez AbiKhissal étude artistique méthodique dans une stratégie qui commence avec une introduction et un aperçu dont j'élabore la vie de l'écrivain et une autre partie primaire dont j'ai élaborer un aperçu historique surl'artde lettre de l'époque avant l'islam jusqu'à l'époqueabbasiet après j'ai aborder l'art de la lettre chez les andalosse en arrivant à l'époque de l'écrivain , après il y eu l'arriver de la deuxième partie sous le titre d'une étude artistique méthodique par la suite il y eu la conclusion qui est un ensemble de résultatsque j'ai résumer sur cette recherche.